مجلة جامعـة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية
العدد الـرابع
رجـب ١٤١١هـ

رؤية منهجية في علم الاجتماع الإسلامي

للدكتـــور
نبيل السمالوطي
الأستاذ بقسم الاجتماع
بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

هناك اهتمام كبير بقضية التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بشكل عام ولعلم الاجتماع بشكل خاص، وهي عملية يطلق عليها احيانا أسلمه المعرفة Islamizaion of Knowledge أو اسلمه العلم أو الصياغة الإسلامية للعلوم الاجتماعية أو إبراز المنظور الأسلامي في دراسة الإنسان والمجتمع أو علم الاجتماع بنظرة إسلامية ويوجد هذا الاهتمام على سبيل المثال في بعض المراكز والتنظيمات الإسلامية في امريكا مثل منظمة Association of Muslem Socientists - A.M.S.S.

وقد أصدرت عدة دراسات ، ولها مؤتمر عالمي يعقد سنويا وقد عقد مؤتمرها في عام ١٤٠٨ فى ولاية اندينا بالولايات المتحدة، ويعد مؤتمرها سنة ١٤٠٩ هو المؤتمر السابع عشر .

وهناك علماء اجتماع في الباكستان يهتمون بقضية التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع مثل الياس بايونس الذى يعيش ويعمل الآن في أمريكا وشارك في تأليف كتاب صغير بعنوان «مقدمة في علم الاجتماع الإسلامي» وألف كتاب «الشخصية الإسلامية»، و«المسلمون في امريكا الشمالية : مشكلاتهم وطموحاتهم»، وله دراسة حول المجتمعات العرقية في بوتقة الانصهار وهناك «بشارة أحمد» الذي تعلم في المانيا وتتلمذ على يد «كارل مانهايم» وقدم دراسات وترجمات لابن خلدون والفارابي والغزالى وابن رشد واستخدم علم الاجتماع المعرفة وسيلة لرفض الطابع العلماني لعلم الاجتماع الغربي والشرقي، وهما العلمان اللذان يتأرجح بينهما علم الاجتماع في دول العالم بما فيها الدول النامية .

وفي الهند بعض الباحثين مثل فريد أحمد الذى ولد بالهند وحصل على درجاته العليا في علم الاجتماع الطبي من امريكا وله اهتماماته بأسلمه المعرفة منها كتاب

مقدمة في علم الاجتماع الإسلامي الذى شارك فيه، ودراسته عن دور العالم الاجتماعي المسلم. وفي مصر هناك محاولات كثيرة بعضها لاساتذه في علم الاجتماع وعلم الإنسان مثل على عبد الواحد وافى وحسن سعفان واحمد أبو زيد ومحمد على أبوريان وزكي اسماعيل وكاتب هذه السطور، وبعضها لاساتذه في العلوم الإسلامية مثل الشيخ محمد أبوزهره الذى كتب في مجالات التنظيم الاجتماعي في الإسلام، كما كتب عن الجريمة والعقوبة في الاسلام . . وعن قضايا اجتماعية كثيرة. وهناك محاولات في المملكة العربية السعودية وفي السودان وفي تركيا والعديد من الدول الأخرى .

والملاحظ على هذه المحاولات افتقارها إلى التنسيق والتنظيم، فهناك مجالات ركز عليها العديد من الباحثين، وهناك مجالات أهمل بحثها ومناقشتها، كما أنها لم تصدر بناء على خطه محدده من حيث المنهج والمفاهيم والأساليب والاجراءات والموضوعات، وهناك المحاولة المنظمة التى تبنتها جامعة الامام محمد بن سعود، الإسلامية وعقدت الندوة الخاصة بالتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية سنة ١٤٠٧ وشكلت لجنة دائمة للتأصيل في أعقاب هذه الندوة وضعت خطة شاملة متكاملة بدأت في تنفيذها طبقا لنسق معينة من الاولويات .

وما سوف اقدمه في هذه البحث ليس سوى مجموعة من الملاحظات والتساؤلات حول منهج التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع، وهى مجرد تصورات ووجهات نظر تحتاج للمناقشة وقد تحتاج إلى تعديل، وفي مرحلة إرساء الأسس العلمية لمدرسة فكرية مثل المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع ـ أو اتجاه فكرى جديد أو علم جديد مثل علم الاجتماع الإسلامي، يكون طرح التساؤلات والاستفسارات عملية ابتكارية لها قيمتها وأهميتها الكبرى وقد تكون أكثر اهمية من الاجابة عليها، لانها عملية تثير قضايا وتحث الباحثين على إبداء وجهات نظرهم وارائهم، وهذه لها اهميتها الكبيرة .

ولعل الحوار بين هذه الآراء والمنظورات يؤدي في النهاية إلى الوصول إلى صيغة

متفق عليها تكون بمثابة الاساس الذى تقوم عليه المدرسة الاسلامية في على الاجتماع منهجيا ومعرفيا .

والواقع أننا لانستطيع أن نفهم طبيعة علم الاجتماع الإسلامي فهما صحيحا إلا من خلال الاجابة عن مجموعة من التساؤلات الاساسية وأهمها مايلي :

أولا - ما موقف علم الاجتماع الإسلامي من المعرفة سواء من حيث إمكانية قيامها أو أنواعها ومصادرها .

ثانيا : ما العلاقة بين علم الاجتماع الإسلامي وبين الشريعة الإسلامية ؟

ثالثا : ما العلاقة بين علم الاجتماع الإسلامي وبين الثقافة الإسلامية ؟

رابعا : ما العلاقة بين علم الاجتماع الإسلامي وبين علم الاجتماع كما هو في الشرق أو الغرب؟ وسوف نتعرض بشكل خاص للعلاقة بين علم الاجتماع الديني وعلم الاجتماع الإسلامي .

خامسا : هل يمكن أن يكون هناك اختلاف في الآراء أو نظريات متعددة في إطار علم الاجتماع الاسلامي ؟

سادسا : هل يمكن قامة علم اجتماع ملتزم بتوجيهات عقائدية وقيمية وفكرية مسبقة ؟ وهل يتعارض هذا الأمر مع الموضوعية المفترضة في الدراسات العلمية ؟

سابعا : هل يمكن صياغة تعريف مبدئى لعلم الاجتماع الإسلامي يحدد موضوعة ومنهجه وميادينه ؟

موقف علم الاجتماع الإسلامي من قضية المعرفة بشكل عام والمعرفة الاجتماعية بشكل خاص

١ - إمكان المعرفة :

يتصارع في الفكر البشرى اتجاهان اساسيان الأول[1] الاتجاه الذي يشكك في امكانية قيام المعرفة Scepticism ويقصد به التوقف عن اصدار حكم ما في أي شيء، لأن كل قضية تقبل السلب والايجاب بقوة متعادلة، ولأن أدوات المعرفة من عقل وحواس وغير ذلك لاتكفل اليقين المطلوب وقد اتخذ الشك صورا شتى كالشك المعرفي والشك المطلق، والشك المنهجي، وكان طبيعياً أن يتصدى لتفنيد مذاهب الشك فلاسفه آخرون رأوا امكانية قيام المعرفة الصحيحة، وهم أصحاب مذهب التيقن أو الاعتقاد Dogmatism ويقصد به اقرار عقيدة أو مبدأ على أنه صادق دون دليل يكفى للبرهنه عليه واريد به في الفلسفة امكان اكتساب معرفة صادقة دون حد تقف عنده قدرة الانسان على تحصيلها[2] .

وللإسلام موقفه الواضح من المعرفة، فهناك المعارف الايمانية التى يطالب المؤمن بالايمان بها ايماناً تاماً ويصدق بها تصديقاً قلبياً دون أن يحاول معرفة ما وراء النصوص القرآنية وما صح عن رسول الله عليه وهذا الأمر يتعلق بالغيب والايمان به كأساس أول للايمان بالله .

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ .. الآية﴾ (البقرة ١-٣)

وهناك أركان ستة للايمان وهي، الايمان الله والملائكة والكتب السماوية والرسل

(١) توفيق الطويل : أسس الفلسفة . الطبعة الرابعة . دار النهضة العربية ١٩٦٤ ص ٢١٤ .
(٢) المصدر السابق .

واليوم الآخر والقدر خيره وشره. والايمان شرعا هو التصديق بالقلب بالأمور المعلومة من الدين بالضرورة وقيل «تصديق بالجنان وإقرار باللسان»[3] والمصدر فى القضايا الايمانية هو الكتاب والسنة، وللعقل فيها حدوده التى يجب إلا يتجاوزها وهناك حقائق لايستطيع الانسان معرفتها إلا بالقدر الذي ورد في الكتاب الكريم مثل الروح لأنها من أمر الله .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الاسراء ١٧)

وهناك جوانب تتصل بمعرفة االعالم الاجتماعي والمادي يمكن للإنسان أن يعرفها بحسه وعقله وهو مطالب بالتفكير فيها لانها خلق من خلق الله . والمعرفة الجزئية التي يحصلها الإنسان عن الإنسان والكون والحياة والمجتمع والتاريخ لايمكن فهما شمولياً تكاملياً إلا بالرجوع إلى كلام الخالق وهو كتاب الله الذى يقدم التصور الشمولي لحقائق هذه الأشياء وللعلاقات بينها وسبل الاستفادة منها[4] .

وبشكل عام فإن الإسلام يرفض مذاهب الشك ويؤكد امكانية المعرفة ويدعو اليها وكانت أول آية نزلت تدعو إلى القراءة والعلم والمعرفة .

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ .

والمعرفة هنا تمتد لتشمل المعارف العقائدية والمعارف الكونية والحيوية والمعارف الاجتماعية والعلاقة بينهم وثيقة إن هذه الأشياء جميعها مخلوقات الله .

٢ - أنواع المعرفة وطبيعتها :

اختلف الباحثون حول علاقة الأشياء المدركة بالقوى التى تدركها وانقسموا إلى قسمين اساسيين : أنصار المثالية التصورية Idealism وأنصار الواقعية Realism

(٣) شوكت محمد عليان : الثقافة الإسلامية وتحديات العصر . دار الرشيد للنشر والتوزيع الرياض ١٩٨١ ص ١٤٦ .

(٤) محمد سعيد رمضان البوطي : منهج الحضارة الإسلامية في القرآن : دار الفكر - دمشق ١٩٨٢ ص ١٥٠ .

بمذاهبها المختلفة يذهب أنصار الاتجاه الأول إلى أن الاشياء مرهونه بالقوى التى تدركها بمعنى أن الموجودات الحسية مجرد أفكار في عقولنا ويذهب أنصار الاتجاه الثاني أن للأشياء وجوداً عينينا مستقلة عن الذات العارفة واعتبرت المعرفة صورة مطابقة لحقائق الأشياء في العالم الخارجي(٥) .

ولـلإسلام موقف محدد من هذه القضية فكل مافي الوجود من كون مادي وعالم اجتـماعي واحياء حقـائق واقعية وهو خلق من خلق الله لهم وجودهم الواقعى كما خلقهم الخالق، وتنقسم المعرفة في الفكر الاسلامي إلى نوعين أساسيين :

(أ) المعارف اليقينية هي التى تتصل بالايمان والدين وما وردت فيها نصوص يقينية .

(ب) معارف ظنية اجتهادية وهي المعارف التي يتوصل اليها البشر من خلال المناهج الوضعية كالعلوم الاجتماعية والتجريبية (الطبيعية) لأنها معلومات متغيرة أو كما يقول «كارل بوبر» قابله للتكذيب Falsi Fiable (٦) .

٣ ـ مصادر المعرفة وأدواتها :

ينقسم المفكرون بصدد هذه القضية، فهناك أنصار المذهب العقلي Rationalism الذين يؤكدون أن العقل هو المصدر الاساسي لكل أنواع المعرفة التى تتسم بالضرورة والتعميم، وهناك أنصار المذهب التجريبي Empiricism الذين يرفضون المعرفة الأولية السابقة على الخبرة الحسية، وهم ينكرون الفطرة كمصدر للعلم وغالى بعض أنصار هذا المذهب فأنكروا وجود عقل يفكر وأسرفوا في الحس الخالص مصدراً لكل أنواع المعارف(٧) وهناك أشكال متطرفة من التجريبية مثل مذهب التطرف السوسيولوجي أو مايمكن أن نطلق عليها التجريبية الاجتماعية مثال هذا «دور كيم» الذي انكر العقل كمصدر للمعرفة(*)، كما أنكر ماوراء الطبيعة وأنكر المصدر الغيبي للمعرفة . فالمعرفة

(٥) توفيق الطويل : مصدر صابق ص ٣٢٩ .

(٦) محمد محمد قاسم : كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي دار المعرفة الجامعية ١٩٨٦ ص ١٦٣ - ١٧٥ .

(٧) توفيق الطويل : مصدر سابق ص ٣٥٣ -٣٥٤ .

(*) وردت الأفكار في دراسة لاميل دوركيم بعنوان «الأشكال الأولة الحياة الدينية سنة ١٩١٢ . راجع دائرة معارف ماكميلان في علم الاجتماع الصادرة سنة ١٩٨٣ ص ١٠٢ .

عنده ترتبط بالعقل الجمعي وتصورات المجتمع ومتقتضيات الحياة الاجتماعية وهكذا اعتبرت المبادىء العقلية ظواهر اجتماعية أو نتاج المجتمع في العقل الجمعي ذلك العقل الذي يتلقى منه العقل الفردي أفكاره ومبادئه ويخضع لها راضيا أو كارها وهو يشبه في هذا «هربرت سبنسر» عالم الاجتماع البريطاني الذى ادعي أن المباديء العقلية وليده المجتمع البشري . وهذه الفكرة وثنية في جذورها ومضامينها وأهدافها .

وهناك موقف التجريبية المادية من المعرفة، وهى تشبة الاتجاه الاجتماعي المتطرف وأن كانت الظروف الاقتصادي في نظر أصحابها هي أساس المقولات العقلية والمنطقية فالإنسان كما يقول «ماركس» صانع تاريخه، والإنسان يزاول نشاطه في بيئة مادية لايسطيع تجاوز حدودها. والعوامل الاقتصادية وحدها هي التي تصنع المجتمع وأفراده[٨] في نظر أنصار هذا الاتجاه المادى المضلل. وهذا يعني ان العوامل الاقتصادية هى التي تصوغ المقولات الفكرية أى تصوغ المعرفة وهدف المعرفة عندهم تغيير الأوضاع الاقتصادية في المجتمع تحقيقا لشعارات زائفة باطلة يتشدقون بها ويعجزون عن تحقيقها ولاتؤدي إلاّ إلى الدمار والصراع والتفكك . وهو ما كشفت عنه الأحداث الأخيرة في الاتحاد السوفيتي وشرق أوربا .

وإلى جانب أنصار الاتجاهين العقلي والتجريبي في تحديد مصادر المعرفة هناك الاتجاه النقدي الذي يحقق التكامل بين الحس والعقل (كانت) وهناك اتجاه الحدس الذي يرى أنصاره أن مصدر المعرفة هو اليقين القلبي أو الالهام أو الحدس، فهم يرون أن المعرفة الحسية أدنى أنواع المعرفة ومعرضة للخطأ وأن للعقل حدوده التى لايستطيع أن يتعداها، وأن المعرفة الحقة هى المعرفة القلبية .

وفي نظرى إن علم الاجتماع الإسلامي له موقفه من هذه الآراء فهو ابتداء يرفض الأفكار المتطرفة للاجتماعيين والماديين فمع التسليم بما للحياة الاجتماعية والاقتصادية من تأثير في فكر الإنسان وسلوكه وعواطفة إلا إنها ليسست المصدر الوحيد لكل أنواع

---

(٨) المصدر السابق ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(٩) المصدر السابق ٣٦٩ .

المعرفة كما انها ليست المصدر اليقيني للمعرفة وفي الحديث الشريف «كل مولود يولد على الفطره فأبواه يهوادنه أو ينصرانه أو يمجسانه» يؤكد أثر البيئة الاجتماعية لكن هناك إلى جانب هذا مصادر أخرى للمعرفة اليقينية وقد أقام الله الحجة على الإنسان من خلال امداده بالمعرفة والمنهج الالهي عن طريق الرسل والكتب وزود الإنسان وكرمه بالعقل، . وأودع فيه فطرة صافيه نقية تتجه به لعبادة الله وأفراده بالتوحيد والعبادة قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾

(الأعراف ١٧٢)

وقال تعالى في حديث قدس «خلقت عبادي حنفاء فأجتالتهم الشياطين» وعلم الاجتماع الإسلامي لاينكر العقل والحس والقلب كمصدر للمعرفة ولكن لكل مصدر حدوده التي لايتعداها وهذا يعني أن مصادر المعرفة في علم الاجتماع الإسلامي تتمثل فيما يلي :

أولا : الأدلة الشرعية :

وتتمثل فى القرآن الكريم والسنة، ثم الاجتماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف والاستصحاب وشرع من قبلنا ومذهب الصحابى[١٠] .

ثانيا : العقـــل :

ويقصد به القوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للذى يستنبطه الانسان بتلك القوة عقل. وقد كرم الله الانسان بالعقل وأوجب عليه استخدامه في الطريق الصحيح الذى يهدي إلى الهدى أو يرد الانسان عن الردى ـ قال تعالى :

﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت ٤٣)

---

(١٠) عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقة ـ الطبعة العاشرة بدون تاريخ دار القلم ص ٢٠ ـ ٩٤ .

وذم الله الكفار ووصفهم بعدم التعقل .

﴿ صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ (البقرة ١٧١) .

وقال أبو المعالي فى الارشاد : العقل علوم ضرورية بها يتميز العاقل عن غيره وهى العلم بوجوب الوجبات اواستحالة المتسحيلات وجواز الجائزات ، وهو تفسير العقل الذى هو شرط في التكليف(١١) ، وللعقل حدوده التى لايتجاوزها ويجب أن يدور في مدار الكتاب والسنة كما يشير إلى هذا ابن تيمية الذي لم يجعله حاكماً على نص قرآني أو حديث صحيح(*) . والعقل له مجاله الواسع في الدراسة والفهم والاستنتاج في مجال دراسة الكون المادي والعالم الاجتماعي والتاريخ الانساني في إطار الضوابط الشرعية الاساسية .

ثالثا : يقر علم الاجتماع الاسلامي استخدام الحواس كأساس للعديد من الوان المعارف التجريبية عن طريق السمع والبصر والذوق والشم على أن توجه في إطار الضوابط القيمية والأخلاقية الإسلامية والإنسان مسئول عنها وهى من النعم التى انعم الله بها عليه والتى يجب شكر الله عليها .

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (النحل ٧٨)

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ﴾ (المؤمنون) ٧٨

والحواس وسيلة للحصول على العديد من المعارف والموضوعات فى مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية والحيوية .

رابعا : يعترف الإسلام وعلم الاجتماع الإسلامي بالتالي بالمعارف القلبية فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ويقول تعالى :

---

(١١) شوكت عليان : مصدر سابق ٣٤٣ .

(*) مذكور في دراسة شوكت محمد عليان : الثقافة الإسلامية وتحديات العصر دار الرشيد للنشر ـ الرياض ١٠١هـ ص ٣٥٥ .

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج ٤٦)

ويقول سبحانه عن المشركين الكفار .

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ (البقرة ١٠)

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾

(الاحزاب ١٢)

ويجب أن نشير إلى أن المعرفة القلبيه فى الإسلام تتصل بالاطمئنان القلبي وليس بالحدس الصوفي الذى تحدث عنه الصوفية وأهل الاستشراق. قال عليه السلام. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نحن أحق بالشك من ابراهيم صلى الله عليه وسلم إذا قال «رب ارني كيف تحيي الموتى قال : أولم تؤمن ؟ بلى ولكن ليطمئن قلبي» (صحيح مسلم) - جـ١ ص١٣٣ حديث رقم ١٥١/٢٣٨ (وأصح تفسير لهذا الشك ماقدمه الامام أبوإبراهيم المزني صاحب الشافعي(*)، ومعناه أن الشك مستحيل في حق ابراهيم ولو كان الشك في احياء الموتى متطرقا للأنبياء لكنت أنا أحق به من ابراهيم وقد علمتم أني لم اشك كذلك براهيم عليه السلام لم يشك والاطئمنان القلبي في الإسلام مصدره الايمان بالله قال تعالى :

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ (التغابن ١١) .

كل هذا يشير إلى ان الله أنعم على الانسان بمصادر كثيرة للمعرفة والعلم يقول تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل ٧٨)

(*) هذا التفسير دار في هامش صحيح مسلم جـ ١ ص ١٣٣ - ومعنى سؤال إبراهيم عليه السلام رغبته في تحقيق الاطمئنان القلبي الكامل استناداً إلى قوله ﴿بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾ والشك هنا مستحيل في حق الأنبياء وكذلك حق المؤمنين في مجالات العقيدة .

وهذا يعني أن الإسلام يعترف بكل مصادر المعرفة، كل في موقعه والمناسب ولكل وظيفته وحدوده التى لايتعداها .

السؤال الثاني :

ما العلاقة بين الشريعة الاسلامية كمنهج الهي ينظم حياة الانسان والجماعات والمجتمعات طبقا لنظم ارتضاها الله لعباده وبين علم الاجتماع الذي يتصل بالدراسة الموضوعية للواقع الاجتماعي بهدف تحقيق الفهم التفسيرى لهذا الواقع .

وهذا يطرح سؤالا حول علاقة معيارية الشريعة الإسلامية وارتباطها بالبناء العقدى من جهة وبين الموضوعية المستهدفة في دراسات على الاجتماع الواقعي من جهة أخرى .

١ - يعد الإسلام عقيدة وشريعة مصدرا اساسيا من مصادر علم الاجتماع الاسلامي وهو المنطلق الاساسي لهذا العلم والشريعة والعقيدة هما اللذان يجيبان عن التساؤلات الاساسية التى ينطلق منها هذا العلم والتى تدور حول ماهية الانسان وأسباب خلقه وعلة الاختلاف بين الشعوب والقبائل ووظيفته في الحياة ومعايير الاستواء والانحراف ومايصلحه في الدنيا والأخرة، ومنشأ الدين العقيدة الدينية، وأصل القيم . . . الخ .

وهى تساؤلات لايمكن للدراسات الواقعية الاجابة عنها :

٢ - الشريعة أساس لتنظيم المجتمع البشري وهى تماثل القوانين التى أوجدها الخالق لتنظيم عالم الطبيعة والحياة (العالم البيولوجي) وإذا كانت القوانين الطبيعية التى خلقها الله بالغة الدقة والإعجاز وهى سبب الانتظام الدقيق والانسجام الكامل الذى يستحيل تحققه لولا هذه القوانين الإلهية المعجزة كذلك فإن الشريعة الإسلامية التى أنزلها الله هى المسئولة عن تحقيق التكامل والتوازن والانسجام داخل المجتمع الإنساني وهي التي تحقق صلاح الإنسان في الدنيا والآخره. وإذا كانت القوانين الإلهية تعمل بشكل جبري في عالم الطبيعة وعالم الحياة فإنها تعمل بشكل اختياري طوعي في عالم الإنسان لحرية الإدارة التى وهبها الله للإنسان فهناك من المجتمعات

من تطبيق الشريعة وهناك من يطبقها .

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ (الكهف٢٩)

وعندما ينطلق علم الاجتماع الإسلامي من الشريعة الإسلامية لاينطلق من ايديولوجية لأن الايديولوجية ترتبط بالفلسفات السياسية والاجتماعية والمصالح الفئوية والحركات الاجتماعية، والإسلام هذا فهو منهج ، إلهى شامل لجميع جوانب الحياة - العبادات والمعاملات وتتضمن جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والأسرية ولايقتصر على الجانب السياسي فقط. هذا إلى جانب أنه موجهه للناس كافة يحقق مصالحهم في الدنيا والآخرة وليست موجة لفئة أو طبقة أو عنصر أو جماعة محددة

ويذكر بعض المهتمين بقضايا علم الاجتماع الإسلامي مثل «الياس بايونس» و «فريد أحمد» ان ابتعاد أي مجتمع عن الشريعة الإسلامي كمنهج إلهي سوف يؤدي حتماً إلى الدمار والضياع والتفكك، وإذا قامت مجتمعات غير إسلامية بتطبيق قواعد ومعايير الشريعة الإسلامية أو أجزاء منها، فإنها سوف تنجح بالقدر الذي تطبقه وهذا يعني أن المنهج الإلهي هنا (في المجتمع) مثل المنهج الإلهي في عالم الطبيعة فقانون الجاذبية يطبق على المسلم والكافر فإذا ألقى شخص ما بنفسه من فوق عمارة عالية إلى الأرض فقد يموت حتى ولو كان هذا الشخص مسلماً[١٢] .

هناك جانب هام للإلتقاء بين الشريعة وعلم الاجتماع ويتمثل في الأهداف فعلم الاجتماع يستهدف الفهم العلمي للمجتمع من أجل امكانية التنبؤ تمهيداً للتحكم في الظواهر تحقيقاً لصالح الإنسان والوصول إلى المجتمع المتكامل المتقدم الخالي من المشكلات أو الذى تقل فيه المشكلات إلى أدني حد ممكن[*]، وهذا هو هدف الشريعة الإسلامة التى تستهد الحفاظ على المصالح الخمسة وتكوين مجتمع صالح فاضل بشكل لاترقي إليه آية محالة وضعية بشرية .

٤ - وهناك نقطة التقاء أخرى هامة بين الشريعة وعلم الاجتماع تتمثل في أن

(*) قاموس ماكميلان لعلم الاجتماع ١٩٨٣ ص ٢٩٨ .

(١٢) الياس بايونس ، فريد أحمد : علم الاجتماع الإسلامي - شركة مكتبات عكاظ وجامعة الملك عبد العزيز .

بعض فروع علم الاجتماع ـ خاصة الفروع التطبيقية ترتبط بالضرورة بجوانب معيارية أو باحكام قيمية. مثل علم اجتماع التنمية وعلم اجتماع التخطيط، وعلم اجتماع المستقبل، وعلم اجتماع الجريمة والسلوك الانحرافي، خاصة عند محاولة رسم السياسات الجنائية والاجتماعية والتنموية هذه العلوم وغيرها محتاجه إلى نماذج معيارية تسعى إلى تحقيقها وإلى بناءات قيمية موجهه للبرامج والمجتمع أو الجماعات أو الأفراد وإلى ضوابط حاكمة وهنا تتسائل : من أين نأتي بهذه النماذج والبناءات والضوابط في العالم الغربي يستمدونها من الفلسفة اللبرالية أو التحررية استناداً إلى آراء كتاب العقد الاجتماعي ـ خاصة ـ جون لوك وروسو (نظرية الحقوق الطبيعية للإنسان) وفي روسيا والصين وشرق أوربا يستمدونها من الفكر الماركسي، ويكون من الطبيعي والأسلم والأكثر موضوعية إلا نستمدها من آراء فردية أو وضعية وإنما نستمدها في علم الاجتماع الإسلامي من الشريعة الإسلامية .

٥ ـ وهكذا يمكن صياغة نماذج إسلامية في التنمية ونماذج إسلامية في التخطيط ونموذج إسلامي في مواجهة المشكلات ونموذج إسلامي في الإدارة ونماذج إسلامية في التربية . . . الخ . هذه النماذج تكون بمثابة البناءات المعيارية والقيمية التى تحاول المجتمعات الإسلامية تحقيقها والاقتراب منها . وهذه الأمور تحل مشكلات المجتمعات الحديثة التى تحدث عنها العديد من علماء الاجتماع الذين أعلنوا مراراً عن الحاجة إلى بناءات معيارية وقيمية ومثل عليا للتخلص من المشكلات الضاربة في عمق المجتمعات الغربية والشرقية والتى تفاقمت في كل الحضارات المادية الحديثة .

ويكفي أن ننظر ـ كما يشير إلى هذا «بايونس، و فريد أحمد إلى فشل العديد من حركات التنمية في العالم الإسلامي التى انطلقت من نماذج وضعية[١٣] . فالدول الأخذه بالنموذج الغربي غرقت في الديون وازدادت تخلفا والدول لأخذه بالنموذج الاشتراكي سقطت في مستنقع الفساد الإداري والتعقد البيروقراطي والتسلط السياسي والاغتراب الاجتماعي والتبعية المدمره وفي كلتا الحالتين استبدلت هذه الدول

---

(١٣) المصدر السابق ص ٦٧ ـ ترجمة أمين حسين الرياض ١٩٨٣ ص ٥٧ .

الاستعمار السياسي بالتبعية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وهما يؤكدان بحق أن ايه تنمية لاتستند إلى المنهج الإلهي المتوازن مادياً وروحياً لن تؤدي إلا إلى الخراب والدمار والقلق والصراع. وهذا هو دور الضوابط والمعايير والأحكام الشرعية في علوم الاجتماع التطبيقية المختلفة.

٦ ـ يحتاج علم الاجتماع إلى بناءات معيارية وأحكام قيمية ومباديء يستعان بها لتقويم الواقع الاجتماعي وإبراز جوانبه الايجابية والسلبية فمن أين يحصل علماء الاجتماع على هذه البناءات والأحكام والمبادىء؟ يحصلون عليها من نظريات طرحها أفراد أو نتائج أبحاث قامت بها مجموعات وفي كلتا الحالتين يعتمدون على تصورات بشرية تخطىء وتصيب وتتأثر بعوامل كثيرة ولايمكن أن تصل إلى صفة الكمال والاطلاق والصلاحية لكل زمان ومكان. وهنا يجب الاستعانة أو الارتكاز إلى أساس ثابت صادق ومطلق. ولن يكون هذا الاساس إلا الشريعة التى أنزلها الله منهجاً لعبادة، وإذا كان علم الاجتماع في دراساته الواقعية يستهدف إلى جانب الفهم والتفسير والتقيم، التشخيص والعلاج والإسهام فى رسم الخطط المستقبلية فإنه لن يتيسر له أداء هذه المهام بكفاءة بعيداً عن المنهج الإلهي وليس أمامه بعيداً عن هذا المنهج إلا المناهج الوضعية الهزيلة والمختلف عليها والعاجزه عن تحقيق صلاح الإنسان والمجتمع.

٧ ـ يدرك المتأمل للبناء النظري والمنهجي في علم الاجتماع المعاصر انه يتضمن مجموعة من المتناقضات أولها وجود علوم اجتماع ببناءات نظرية ومنهجية متصارعة ولايوجد اتفاق واضح حول التوجيهات النظرية، ولاحول التوجيهات المنهجية، ولاحتى حول المصطلحات الاساسية لهذا العلم. والسبب فى هذا أن كل مدرسة في هذا العلم تنطلق من بناءات عقائدية موجهة، وفروض ضمنيه وخلفية. وهذا ما أفاض فيه نقاد النظرية في علم الاجتماع وأهمهم «إرفنج زاتلين» فى دراسته القيمة «الايديولوجيا وتطور النظرية في علم الاجتماع» و«الفين جولدير» فى دراسته «الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي»، و«روبرت نسيت» في كتابة التراث السوسيولوجي

وغيرهم(١٤) وهذا ما أوضحته العديد من الدراسات العربية منها دراسة «السمالوطى الايديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر سنة ١٩٧٥ ودراسة أحمد زايد بعنوان «علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية» سنة ١٩٨٤(١٥) ودارسة الحسيني بعنوان نحو نظرية اجتماعية نقدية سنة ١٩٨٥م .

ومن بين هذه المتناقضات المناداة بالموضوعية والحيدة العلمية والجرى في نفس الوقت وراء نظريات مطروحة في هذا العلم تفتقر إلى التحقيق التجريبي والدراسات المقارنة فضلا عن انطلاقها من منطلقات ايديولوجية كالوظيفية والبنائية والمادية التاريخية والمادية الجدلية والتفاعلية والتطورية . الخ .

بل والاغرب من هذا أنه من بين أكبر المنادين بالموضوعية والمنهجية في هذا العلم علماء أسسوا نظريات لاتستند إلى موضوعية ولا إلى منهجية مثل (كونت دوركيم، فيبر . . . الخ) بل وادعي بعضهم النبوة وتأسيس ديانة جديدة اطلقوا عليها الديانة الوضعية أو ديانة الإنسانية (كونت)(*) .

وقد أوضح بعض الدارسين التناقص الكبير في علم الاجتماع المعاصر، ومثال هذا «الـين داو» A. Dawe الذي عنون مقاله «علما الاجتماع» "The two Sociologies" ويوضح فيه الاستقطاب الحادث في هذا العام بين نظريتين أو علمين للاجتماع على حد تعبيره احدهما خاص بالانساق والآخر خاص بالفعل الاجتماعي ويعالج كل منهما مشكلات مختلفة على أنها مشكلات النظام، والآخر يركز على مشكلات الضبط ولكل

---

(١٤) ارجع إلى

Irving Zietlin: Idealogy and the development of Sociological theory. Prentice Hall 1968- Alvin Gouldner: The comming crisis of Western Sociology: Heinmann- Lonodon- New Delhi 1971- Robert Nisbet: Sociological tradition: Heinmann- London 1971.

(١٥) نبيل السمالوطي : الايديولوجيا وازمة علم الاجتماع المعاصر الهيئة العامة للكتاب مصر ١٩٧٤ والطبعة الثانية دار الكتاب الجامعي ١٩٨٦ أحمد زايد علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٤ .

(*) مذكورة في دائرة معارف ماكميلان للطالب ـ علم الاجتماع صادره عن «ماكميلان» لندن ـ اصدرها Michael Mann ١٩٨٣ ص ٢٩٨ ـ تحت مصطلح Posilivism

منهما تصوراً مختلفاً عن الطبيعة البشرية والمجتمع والعلاقة بين الفرد والجماعة. أحدهما يركـز على فكرة القهر الخارجي والثاني يركز على الانسان المستقل القادر على صنع مجتمعة بنفسه . . ويرى «داو» أن علم الاجتماع تطور خلال الصراع بين هاتين النظريتين(١٦) .

وهنـاك التنـاقض بين تقـاليد علم الاجتماع ذاته. ففي الوقت الذي يجعل من الموضوعية والحيدة العلمية تقليداً يجعل في نفس الوقت الانطلاق من نظريات بعينها في صياغـة الفروض وتحديد المنهج وتفسير نتائج الدراسة الميدانية تقليداً آخر وهذا يتضمن تنـاقضـا واضحـا خاصـة إذا علمنا أن هذه النظريات تنطلق من بناءات ايديولوجية ليبرالية أو مادية تاريخية أو راديكالية أو نقدية، وتستند إلى منطلقات فكرية مسبقة .

ويجب إلا ننسي أن تصورنا عن الموضوعية والحيدة العلمية في العلوم الاجتماعية استقيناه من مصادر وضعية صاغت فكرنا شكلاً ومضموناً وصرنا نفكر فيها بشكل آلي دون تعقـل. فالمـوضـوعية المـزعـومـة في الـدراسات الاجتماعية الشرقية والغربية، لاتتناقض مع الانطلاق من نظريات أو بناءات تصورية مسبقة مع العلم بأن هذه النظريات والبناءات تفتقر إلى الحد الأدنى من الصورة المنطقية للنظرية العلمية كما يتحـدث عنها علماء المناهج (بوبر، برسى كوهين، جود ـ هات . .) كما تفتقر إلى التحقيق التجريبي أو الامبيريقى المقارن وبالتالى تفتقر إلى الصدق الداخلي والخارجي .

وإذا كان هذا هو حال الدراسات الاجتماعية في الشرق والغرب فما هو موقفنا في العالم الإسلامي، اليس من أرقى درجات الموضوعية أن نستند إلى المعايير والأحكام الإلهية بدلا من الانـطلاق من معـايير وأحكام مفكرين أفراد أو آراء فلسفية تتسم بالنسبـة والانحياز والـذاتية والتـأثـر بالعـديد من الموجهات السياسية والاقتصادية والتربوية . . هناك من يرى فى الاستناد إلى أحكام الله إبتعاد عن الموضوعية، بينما

---

(١٦) Alen Dawe: The twon Sociologies: in Kenneth Thompson and Jeremy Junstall (eds) Sociologicl perespectives: Penguin Books 1971. pp. 543-549.

الاستناد إلي آراء «بارسونز اوفير أو ماركس . . » منتهى العلمية والموضوعية وهذا الرأي هو أبلغ تعبير عن الغزو الفكرى والاستعمار الثقافي الذي لايزال يسكن داخل بعض المشتغلين بعلوم المجتمع في العالم الاسلامي .

٨ ـ على أن الانطلاق من معايير وأحكام الشريعة الإسلامية لايعني مصادرة أو الغاء الدراسات الميدانية أو مصادره الاجتهاد أو حتى مصادره حرية الفكر أو حتى حرية الاختلاف في المنظورات ووجهات النظر، أو إلغاء ومصاردة الاستفادة من بعض النظريات المعروضة في تراث علم الاجتماع الغربي أو الشرقي، فالمجتمع الحديث يتضمن العديد من المجالات المحايدة عقائدياً والمحتاجة إلى دراسة وفهم وهناك العديد من المشكلات المحتاجة إلى التشخيص والعلاج وهناك المستحدثات والمتغيرات التى طرحها التطور والتنمية الاجتماعية، والتغيير وهناك المصالح المرسلة أى المطلقة وهى في اصطلاح الأصوليين المصلحة التى لم يشرع الشارع حكماً لتحقيقها ولم يدل دليل شرعي على اعتبارها أو إلغائها(*)، وسميت مرسلة أو مطلقة لأنها لم تقيد بدليل باعتبار أو دليل إلغاء. ومثالها المصلحة التى شرع لأجلها الصحابة اتخاذ السجون أو ضرب النقود أو إبقاء الأرض الزراعية التي فتحوها في يد أهلها ووضع الخراج عليها أو غير ذلك من المصالح التى اقتضتها الضرورات أو التحسينات ولم تشرع أحكام لها ولم يشهد شاهد شرعي باعتبارها أو إلغائها .

وتشريع الأحكام قصد به تحقيق مصالح الناس بجلب النفع لهم أو دفع الضرر أو رفع الحرج عنهم. ومصالح الناس لاتنحصر جزئياتها ولاتتناهي أفرادها فهى تتجدد بتجدد أحوال الناس وتتغير باختلاف الهيئات والثقافات والتاريخ والظروف الاجتماعية. والأحكام الاجتماعية التى تجلب نفعاً في زمن معين أو بيئة معينة قد تجلب ضرراً في بيئة مختلفة أو زمن مختلف. فالمصالح التى شرع الشارع أحكاماً لتحقيقها مؤيدة من الكتاب والسنة أو الاجماع أو القياس تسمى في اصطلاح الأصوليين

(*) راجع عبد الوهاب خلاف ـ علم أصول الفقة ـ دار القلم الطبعة الثامنة ـ دون تاريخ ص ٨٤ ومابعدها وارجع ايضا: صالح بن عبد العزيز آل منصور: أصول الفقة وابن تيمية ـ دار النصر للطباعة الإسلامية ـ شبرا مصر سنة ١٩٨٠ الجزء الأول ص ١٩٩ ومابعدها .

المصالح المعتبره، أما المصالح التى اقتضتها البيئات والطوارىء والمتغيرات بعد انقطاع الوحي ولم يشرع الشارع أحكاماً لتحقيقها ولم يقم دليل منه على اعتبارها أو الغائها تسمى مصالح مرسلة(*)، وهنا يكون المجال واسعا امام الأبحاث والدراسات الميدانية من أجل دراسة التغيرات التى حدثت نتيجة للتطورات الاجتماعية في مجالات الإدارة والتصنيع والتنظيم الاجتماعي والسكان من حيث الهجرة والتعليم والتدريب والتوجيه المهني وغيره ومجالات التنمية الريفية والحضرية ومجالات الاتصال والاعلام ومجالات الاقتصاد مثل تسجيل عقود البيع وتوثيق عقود الزواج . . الخ .

هذه المجالات وغيرها من المستحدثات تتطلب الدراسات الميدانية من أجل الوصول إلى كيفية تحقيق المصالح بشأنها ويضاف إلى هذا مجال المشكلات الاجتماعية المستحدثه، مثل مشكلات الإدمان وجرائم التزوير ومشكلات الاشراف ومشكلات التعليم ومشكلات التصنيع الإدارة والساسية . . الخ تقتضى اجراء دراسات ميدانية لتشخيصها وعلاجها .

وقد وضع العلماء مجموعة من الضوابط للأحكام الخاصة بالمصالح المرسلة حتى لاتكون بابا للتشريع بالهوى والانحياز، ولهذا اشترطوا أن تكون المصحلة حقيقية تجلب نفعاً أو تدفع ضرراً وأن تكون عامة وليست خاصة وألا تعارض مبدأ ثبت بالنص أو الاجماع(١٨) وهناك من يؤيدها فيقول ابن القيم «من المسلمين من فرطوا في رعاية المصحلة المرسلة فجعلوا الشريعة قاصرة لاتقوم بمصالح الناس محتاجة إلى غيرها وسدوا على أنفسهم طرقاً صحيحة من طرق الحق والعدل ومنهم من افرطوا فسوغوا ماينافي شرع الله وأحدثوا شراً طويلاً وفساداً عريضاً»(١٩) .

(*) راجع عبد الوهاب خلاف ـ علم أصول الفقه ـ دار القلم الطبعة الثامنة ـ دون تاريخ ص ٨٤ وما بعدها وراجع أيضاً صالح بن عبدالعزيز آل منصور: أصول الفقه وابن تيمية ـ دار النصر للطباعة الإسلامية ـ شبرا مصر سنة ١٩٨٠. الجزء الأول ص ١٩٩ وما بعدها.

(١٧) **عبد الوهاب خلاف** : مصدر سابق ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(١٨) المصدر السابق ص ٨٧ ـ ٨٨ .

(١٩) المصدر السابق ص ٨٨ .

ومجال المصالح المرسلة مجال واسع رحب يستوعب كل التغيرات والمستحدثات أو نتائج التطور من تحضر وتصنيع وتعلم وإدارة وتعدد الأنشطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهو مجال واسع أمام المشتغلين بعلم الاجتماع سواء من حيث الدراسات النظرية أو الميدانية وهنا لامانع في تصوري من الاستعانة بالنظريات الغربية أو الشرقية سواء لاختبارها أو في صياغة الفروض أو في التفسير. وتراث علم الاجتماع ملىء بالنظريات المحايدة عقائدياً أو التى لاتخالف الإسلام عقيدة وشريعة والتى تتفق مع المبادىء الإسلامية ولا حرج من الانتفاع بها. وبهذا لا ينعزل علم الاجتماع الإسلامي عن تراث علم الاجتماع شرقه وغربه. ويضاف إلى هذا أن علم الاجتماع الإسلامي يناقش النظريات المطروحة فى التراث والتي تعارض أصولاً شرعية من أجل إثبات خطئها وتفنيدها . من خلال الرجوع للنصوص أو أجراء دراسات واقعية مقارنة .

٩ ـ إذا كان علم الاجتماع يدرس ضمن مايدرسه الأعراف والعادات الاجتماعية فالعرف يعد من الأدلة الشرعية وهو ما تعارف الناس وساروا عليه من قول أو فعل أو ترك ومن أمثلته : تعارف شعب على اطلاق لفظ الولد على الذكر دون الانثي ، وتعارف بعض الناس على عدم اطلاق لفظ اللحم على السمك. والعرف نوعان : العرف الصحيح وهو مالايتعارض مع دليل شرعي ، وعرف فاسد وهو مايخالف الشرع والنوع الأول يجب مراعاته في سياسة المجتمع وفي القضاء. والعرف في الشرع له اعتبار، فالامام مالك يبنى كثيراً من أحكامه على عمل أهل المدينة[٢٠] وأبوحنيفة وأصحابه اختلفوا في أحكام بناء على اختلاف اعرافهم، والشافعي عندما هبط إلى مصر غير بعض الأحكام التى كان ذهب إليها وهو في بغداد لتغير العرف ولهذا فإن له مذهبين قديم وجديد، وفي فقه الحنيفة أحكام كثيرة مبنية على العرف مثال هذا إذا لم يتفق الزوجان على المقدم والمؤخر من المهر، فالحكم هو العرف. والشرط في العقد يكون صحيحا إذا ورد به الشرع أو اقتضاه العقد أو جرى به العرف. أما الأعراف الفاسدة (كالربا وبيع الغرر) فإنها باطلة شرعاً .

---

(٢٠) المصدر السابق ٩٠ .

والأحكام المبنية على العرف تتغير بتغير الزمان والمكان ويقول الفقهاء أنه اختلاف عصر وزمان وليس اختلاف حجة وبرهان. وهذا مجال كبير لدراسة علم الاجتماع.

١٠ ـ وبشكل عام فإن الصلة بين علم الاجتماع والشريعة الإسلامية وثيقة وتظهر أهمية هذه الصلة من إدراك العديد من علماء اجتماع الغرب أنهم يسيرون في طريق مسدود، وإن الاعتماد على العلم الموضوعي بشكل سلبي بعيد عن القيم الدينية والاخلاقية يوقع الإنسان والمجتمعات في أزمات طاحنة تفقد الإنسان هويته الانسانية.

يقول «رايموندريس» عالم الاجتماع الأمريكي المعاصر أن العلوم الاجتماعية الموضوعية لم تعد تكفي الإنسان المعاصر لأنه يسعى دائما إلى حلول لمشكلاته المادية والنفسية والاجتماعية ويسعى دائماً وراء توجيهات تخلصه من محنته الدنيوية وهو في حاجة إلى استجلاء معنى الحياة والوجود والإنسان وهذا ماكرره «سي رايت ملز» في الخيال السيوسولوجي حيث ذهب إلى أن الإنسان في أمس الحاجة إلى القيم القادرة على إثراء حياته، فالناس في حاجة إلى فهم عالمهم وفهم معنى وجودهم وفهم سبل الخلاص من مشكلاتهم[٢١] وهناك العديد من العلماء الذين يشكون في قدرة العلم على تقديم حلول لمشكلات للإنسان. وقد طرح «جورج لنديرج» عالم الاجتماع السلوكي الامريكي سؤالاً هو عنوان أحد كتبه «هل يستطيع العلم أنقاذنا؟ وهو يجيب بالشك مع تحفظات كثيرة، وهو نفس مايفعله «ريموند ريس» ولكن الواقع إن العلم وحده عاجز عن تقديم معنى لوجود الإنسان ولحياته ولوظيفته ولمصيره وللتعدد في الواقع الاجتماعي وللتفاوت الاجتماعي، وللعديد من المشكلات التى يعاني منها الإنسان وهنا نقول إنه لاغني للانسان ولالعلم الاجتماع عن الشريعة الإسلامية وعن العقيدة الإسلامية إذا أراد أن يقدم اسهاما حقيقية لفهم المجتمع واصلاحه ومواجهة المشكلات التى يعاني منها الإنسان والمجتمعات وإذا أراد أن يحقق هدفه النهائي وهو بناء مجتمع صالح متكامل يحقق أفضل الظروف للحياة الانسانية الكريمة، مع أخذ التغيرات والمستحدثات والاختلافات الزمانية والمكانية والثقافية في الإعتبار.

(٢١) نبيل السمالوطي الايديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر دار الكتبا الجامعي ١٩٨٦ ص ٤٣.

وسبق أن تساءل روبرت ميرتون عن أزمة توافر معايير الصدق فى النظرية السوسيولوجية ووصل إلى نتيجة مؤداها أن هناك حداً أدنى من الاتفاق المعرفي بين العلماء ولكن تكمن المشكلة في الاختلاف القيمي Cognitive agreement and value disagreement والواقع أنه يمكن حل هذه المشكلة ـ مشكلة الاختلاف المعيارى والقيمي إذا ابتعدنا عن الآراء الوضعية البشرية النسبية والمصلحية والمؤقته ولجأنا إلى أحكام خالق البشر متمثلة في الشريعة الإسلامية .

السؤال الثالث :

ما العلاقة بين علم الاجتماع الإسلامي والثقافة الإسلامية ؟

(أ) هناك جوانب التقاء تتمثل في الاعتماد المشترك على العلوم الشريعة كالتفسير والحديث والفقة وأصول الفقة وذلك كمنطلقات للدراسة وللاجابة عن التساؤلات الاساسية المطروحة في القضايا المدروسة وللاجابة عن التساؤلات الاساسية المطروحة في القضايا المدروسة .

(ب) بينما تركز الثقافة الاسلامية على قضايا عامة تمس علوم الاقتصاد والنفس والاجتماع والحضارة والتاريخ والانسان، فإن علم الاجتماع الاسلامي يركز بتعمق على إبراز حكم الإسلام في القضايا التى تمثل محور الاهتمام لدى علم الاجتماع بمدارسه المختلفة سواء التقليدية أم الحديثة كالنظم والجماعات والمجتمعات والتغير والتحولات التاريخية والثقافة . .

(جـ) يهتم علم الاجتماع الإسلامي بالدراسة المتعمقة لكل ماهو مطروح فى تراث علم الاجتماع من مدارس ونظريات واتجاهات نظرية ومنهجية والتعرف على أصلوها وخلفياتها الايديولوجية والتاريخية والاجتماعية بهدف فحصها ونقدهها ببيان مايتفق منها مع الإسلام، وتفنيد مايتعارض منها معه والاستفاده من الدراسات المحايدة عقائدياً أو التى لاتتعارض مع الأدلة الشرعية. وهذا يقتضي تخصصاً على مستوى عال فى دراسة علم الاجتماع، والمام واع بجوانب الشريعة الإسلامية .

(د) ينفرد علم الاجتماع الإسلامي بإجراء دراسات واقعية تتصل بالمصالح المرسلة للناس ودراسة الواقع الاجتماعي من أجل فهمه وتفسيره ودراسته في حالات الاستقرار والتطور ودراسة وتشخيص وعلاج المشكلات التى تتعرض لها المجتمعات . والاسهام في ارساء خطط التنمية الشاملة على اساس من الفهم العلمى للواقع الاجتماعي .

(هـ) يستعين علم الاجتماع الإسلامي بالتوجيهات النظرية والمنهجية المطروحة في التراث السوسيولوجي في الدراسات الواقعية سواء من حيث اختبارها أو صياغة فروض موجهه، أو تفسير الواقع على ضوئها، أو تعديلها أو نقدها ويشترط فى هذه النظريات ألا تتعارض مع مبدأ من المبادىء الشرعية مثل بعض القضايا التى تطرحها الوظيفية أو نظريات تفسير السلوك الاجرامي كالاختلاط التفاضلي لسودرلاند أو الانجراف للجريمة، أو نظريات التنظيم مثل «نظريات أرجريس، واتزيوني وبف» وبلاو وفيبر . . . . الخ ونظريات الأدارة، والاشراف، والتخطيط الحضري والعلاقات الصناعية . . . الخ والتراث السوسيولوجي زاخر بالنظريات المحايدة عقائديا .

(و) يسهم علم الاجتماع الإسلامي من خلال دراساته النظرية والمنهجية في تمهيد السبيل لانتشار الثقافة الاسلامية بين أبناء المجتمع استنادا إلى الفهم العلمي لطبيعة المجتمع ومايسوده من نظم وعلاقات وتفاعلات ونظم . . وبالتالي يمهد السبيل لتطبيق المنهجح الالهي وتحقيق أنتشار الثقافة الاسلامية فكراً وسلوكا بين اعضائه .

(ز) إذا كان علم الاجتماع الإسلامي يعتمد على المنهج الاستنباطي بالرجوع إلى الأصول والأحكام الإسلامية في القضايا العقائدية والقيمية الوارد بشأنها نصوص شرعية فإنه يستخدم المنهج الاستقرائي في قضايا المصالح المرسلة والقضايا المطروحة المحايدة عقائديا وهو في هذا الجانب علم وضعي تقريري مقارن يحاول الوصول تعميمات أو نظريات أو مايشبه القوانين العلمية طالما أن الوصول إلى قوانين في مجال الدراسات الاجتماعية أمر صعب، على الاقل في هذه المرحلة من

تطور علم الاجتماع .

السؤال الرابــع :

ماهي العلاقة بين علم الاجتماع الاسلامي وعلم الاجتماع العام كما هو معروف فى الغرب والشرق ؟

هل يعـد علم الاجتماع الإسلامي فرعا من علم الاجتماع العام ؟ أم هل يعد استمراراً لعلم الاجتماع الذى أسسه ابن خلدون في العالم الإسلامي ؟

نبادر القول أن علم الاجتماع الإسلامي لايعد فرعا من فروع علم الاجتماع بنشأته الأوربية وذلك لعده اعتبارات نوجزها فيمايلي :

أولا - إن نشـأة علم الاجتماع الأوربي لم ترتبط بمنطلقات معرفية أو علمية ولكن كانت استجابة لتحولات ترتبط بظروف المجتمع الأوربي خلال القرن التاسع عشر والتي تتمثل في اتمام التحول من الاقطاعية إلى الرأسمالية ونشأة التحررية الأوربية[٢٢] .

كما ارتبطت بحالة التفكك والتمزق التى عانت منها مجتمعات الغرب تحت تأثـير الثـورة الصنـاعية في انجلترا والثـورة البرجوازية في فرنسا ولاشك أن منطلقات نشأة العلم أثرت في مساره وتطوره وتوجهاته، حتى اليوم .

ثانيا : تأثــر الفكــر الاجتـماعي في أوربـا بشكـل مبـاشر أو غير مبـاشر بالفكـر النصراني والممارسات الكنسية، وسواء إتخذ هذا التأثير طابع الدفاع عن الفكر والممارسات الدينية، أو طابع الهجوم عليه، أو طابع تحليل العلاقة بين الدين والمجتمع. فهناك الكتاب الذى إشترك في تأليفه «سان سيمون» و«اجست كونت» خلال فترة تعاونهما مما يحمل اسم «المسيحية الجديدة» سنة ١٨٢٥[*]،

---

(٢٢) **هارولد لاسكي نشأة** : التحريرية الأوبية . وأنظر المصادر الآتية .

- I. Zietlin: Ideology and the development of Sociological Theory Op. Cit. pp. VII-VIII
- A. Gouldner: Op. Cit. P. 54.
- Alen Dawe: Op. Cit. pp. 543-548.

(*) ارجع إلى قاموس ماكميلان للطالب في علم الاجتماع الصادر عن دار نشر ماكميلان ١٩٨٣ ص ٥٩-٦٠، وص ٤١٨-٤٢٠، ص ٣٣٨-٣٣٩.

وهناك المقال الطويل الذى أعده «ماكس فيبر» سنة ١٩٠٥ بعنوان الأخلاق البرونستنتية وروح النظام الرأسمالي» ودراساته عن أديان الهند والصين وفلسطين القديمة. وهناك دراسة «ترولتش» Troeltsch وهو عالم اجتماع الماني سنة ١٩١٣ بعنوان «التعاليم الاجتماعية للكنائس المسيحية» التى يبرز فيها اهمية الأنجيل الأصلي OriginaL Gosopel وهناك دراسة «لنسكى» Lenski بعنوان العامل الديني سنة١٩٦١ . . . الخ. ويشير «بيومى» في مقدمة كتابه عن علم الاجتماع الديني إلى أن دراسات علم الاجتماع الدين في الغرب تتسم بصبغة مسيحية . ظاهره(*)

ثالثاً : ارتبطت نشأة علم اجتماع الغرب ببعض النزعات العقائدية التي تعد إلحادية ووثنية من المنظور الإسلامي فأجست كونت الذى بدأ منطلقا من الفكر الديني وانتهى بخبل عقلى حيث أدعي النبوة وتأسيس ديانه جديدة أطلق عليها ديانة الوضعية أو الإنسانية وأرسى لها حسب قوله شعارات ومبادىء كتبت على قبره بعد موته، وهناك النزعة المتطرفة في التفسير السوسيولوجي، أو Sociologism عند مؤسسى المدرسة الفرنسية «اميل دوكيم» في دراسته المشهور في علم الاجتماع «الصور الأولية للحياة الدينية»(*) . . Elementary Forms of religious life التي ينكر خلالها الأصول الغيبية للأديان ويرجع فكرة الألوهية والقداسة والعبادة إلى المجتمع، ويرجع إلى المجتمع كافة المقولات العقلية والمعرفية ويحاول أن يفسر الدين في ضوء وظيفته الاجتماعية استناداً إلى معلومات هزيلة جمعها رحاله ومغامرون فى قارة استراليا واستناداً إلى التاريخ الظني واستناداً إلى تفسيراته المريضة التى لاتستند إلى منهجية ولا إلى أصول علمية. ولاننسى أن استاذه كونت قد ربط التخلف بالانتماء

(*) محمد بيومى : علم الاجتماع الديني - دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ص راء ويمكن الرجوع إلى Tr orltsch,E The social eachings of Christian church Trance by Owgon, 1931. إلى دارسة «فيبر عن اخلاقيات البرونستانت وروح النظام الرأسمالي» وترجمه إلى العربي الدكتور بكر باقادر .

(*) ارجع إلى قاموس ماكميلان في علم الاجتماع ١٩٨٣ ص ١٠٢، ص ٢٩٨

الديني وذهب في قانونه الذى أطلق عليه قانون الحالات الثلاث إلى أن الفكر الديني يرتبط بالبدائية والتخلف وأن التقدم مرهون بتجاوزه في اتجاهات الفكر الوضعي الحسى العلمي .

رابعاً : ارتبطت نشأة علم الاجتماع الغربي بظروف موقفية وبمحاولات للدفاع عن واقع البناء الاجتماعي للمجتمعات الغربية بنظامها الرأسمالي الحر والسياسي القائم على حرية الفكر والتعددية الحزبية والديمقراطية واقتصادياً على حرية السوق. وذلك فى مواجهة الفكر المادي والماركسى المعادى وهذا مايذكره «إيرفنج زايتلين» الذي يؤكد أن النظرية السوسيولوجية الغربية تمت وتطورت كنظام دفاعي ضد ما أطلق عليه الشبح الماركسي The Ghost of Marx .

خامساً : إرتبط كل من علم الاجتماع الغربي الرأسمالي والشرقي الذى يرتبط بالتوجهات الماركسية الينينية، بنزعة علمانية Secular واضحة جداً، منذ ظهور هذا العلم عند رواده الأول . وقد رأينا كيف ربط «كونت» بين التخلف الاجتماعي وطفولة الفكر البشرى وبين سيادة النزعات والتفسيرات الدينية، كما ربط التقدم الاجتماعي والنمو والنضج الفكري بسيادة التوجهات الوضعية، لدرجة أنه حاول في مرحلة من حياته تحويل هذه النزعة الأخيرة إلى توجه دينى أطلق عليه «ديانة الانسانية»(*) . كذلك فقد رأينا التوجه العلماني واضحاً في فكر «دور وكيم » في نزعته المتطرفة في التفسير السويولوجى Sociologism لكل الموجودات الاجتماعية، بما في ذلك الدين الذى اعتبره ظاهرة اجتماعية وأرجعه إلى العقل الجمعى والحياة الاجتماعية، وحاول تفسيره من خلال مايؤديه من وظائف داخل الحياة الجمعية، وذلك في دراسته الشهيرة عن «الصور الأولية للحياة الدينية». ونجد كذلك التوجه العلماني مؤثراً في فكر «ماكس فيبر» الذى يعرف في تاريخ الفكر الاجتماعي بأنه مؤسس الاتجاه الديني أو

(*) ارجع إلى قاموس ماكميلان في علم الإجتماع ١٩٨٣ ص ٢٩٨ .

القيمي في التفسير الاجتماعى. فقد ذهب - كما يؤكد «روبرت لوير» R.Louer [٢٣]. استناداً إلى دراسات «فيبر» نفسه إلى القول بأننا نعيش اليوم في عصر يتسم بالرشد أو العقلانية Rationalization ، حيث تحرر الانسان من الغيبيات المتمثلة في السحر والشعوذة والأوهام المختلفة Disenchant-ment . وهذا يعنى في نظر «فيبر» أن العالم لم يعد ظاهرة مقدسة Sacred Phinomenon يتضمن أسراراً خافية علينا، ولم تعد الحياة سراً مستغلقاً على الفهم تحتاج منا إلى الرجوع إلى عالم الاعتقاد القلبي اليقينى . وهو يرى أن الدين الذى كان يسهم في الماضى في إعاقة النمو الإنساني، وإعاقة التنمية في جوانبها المختلفة - الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية . . لم يعد الإنسان في حاجة إليه، لأنه فى رأى «فيبر» قد ملك مصيره، ولم يعد هذا المصير بيد كائن أثيرى مجاوز للطبيعة غير مفهوم وغير متصور عقلياً[٢٤] *.

ويؤكد «ماكس فيبر» أن المذهب البروتستانتي وإن كان قد يسر ظهور النظام الرأسمالى الذى أثبت تفوقه على كل النظم الاقتصادية والاجتماعية الأخرى، فإن الإنسان لم يعد بحاجة إلى الدين بعد ظهور النظام الرأسمالى الذى يستند إلى مجموعة من الأسس الآلية الذاتية المؤدية إلى النمو والتقدم بدون دعم من نظم روحية. وهكذا

(٢٣) R. Louer: Perspectives on Social change: Allin and Bacon. I.N.C. Boston - London -1977 pp. 333-334

See also: Max Weber : Protestent ethics and spirit of capitalism - Trans by. T. Parsons - N.Y.: Charles Scripner's Sons 1958 pp. 181-182-

See also H.H. Gerth and C.R. Mills: From Max Weber Essays in Sociology : N.Y. Oxford University press 1940. p. 155.

(٢٤) Ibid. p. 333.

(*) See Robert lauer: perspectives on Social choage: Allin and Bacon Inc Boston london 1977. P. 333-334- see also max Weber: Protestent ethics and spirit of capitatison: Thrans. by T.parsons. N.Y. Charles Scripnerâsons 1958 PP. 181-182- see also H.H. Gerth and c.r.mills: From Max Weber: Essays in Sociology: N.Y. Oxford University press 1940 p. 155.

يرى «فيبر» أن قيمة الدين تتراجع مع تقدم المجتمعات لتحتل مكانة هامشية في حياة الإنســان والجماعة وقد تأثر «ماكس فيبر» M. Weber فى رؤيته للدين وموقعه داخل المجتمع الحديث، بالفكر الفلسفى الألمانى أو بالتراث الفكرى الذى خلفه المفكرون والفلاسفة الألمان السابقين عليه. ويشير «ميدجلي»[٢٥] E.B.F. Midgley في دراسة له بعنوان «أيديولوجية ماكس فيبر»[*] إلى أن هناك تشابها ملحوظا بين الرؤية الاجتماعية والفكـرية إزاء الـدين والقيم الـدينية عنـد «هيجـل» Hegel و«نتشة» Nietzeche و«كـارل ماركـس» K. Marx و«ماكـس فيـبر» M. Weber . فقد ذهب «هيجل إلى القـول بمـوت الاله . . وهذا هو نفس ما زعمه «نتشة» أحد رواد فلسفة القوة في المانيا. وهذا أيضا ما زعمه «كارل ماركس» مؤسس الفلسفة المادية الجدلية والتاريخية. ويعترف هذا الأخير بأنه (مثل «بروميثيوس» Prometheus وهو أحد أبطال الميثولوجيا الإغريقية) يكره كل الآلهة بما في ذلك الإله الحقيقي. ويؤكد «ماركس» أن الآلهة سوف تغنى تماماً على يد طبقة البروليتاريا الثورية[٢٦] .

وقد تأثر «ماكس فيبر» بدوره بهذا الفكر المريض الحاقد على الدين، حيث ذهب إلى «مـوت الاله» . . وإن كان - كما يشير إلى هذا «ميدجلي» غير قاطع في تحديدة للعوامل المسؤولة عن هذه الحادثة المأساوية في تاريخ الإنسان في العصر الحديث . . ويؤكد «ميدجلى» أن قارىء «فيبر» يشعر أحيانا أنه رضخ للفلسفات التى حاولت أن تفلسف ما أطق عليه « إنتحار الإله» Suiced of God بتبجح كبير، ويشعر القارىء له في أحيان أخرى أنه يرجع ما أطلق عليه «موت الآله» إلى طبيعة المنهج الذى يستخدمه الجيل العقلاني Rationalistic الذي كان يشكل ثقافة العصر الذى عايشه «فيبر» نفسه[٢٧] .

(٢٥) E.B.F. midgley: The ideology of max Weber: Athomist Critigue: Gower publishing House: Croft Rood- Hampshier.
Guil 3 Hr England 1983 p. 122 .

(*) E.B.F Midgley: The ideology of Max Weber: A Thomist Crilique: Gower publishing Co. Limiled- Gower House croft Rood Aldershot- Hampshire Guii 3 H.R Englond 1983 pp. 122-123.

(٢٦) Ibid p. 122

(٢٧) Ibid .

وهناك عوامل فكرية وتأثيرات عديده تحدث عنها النقاد، أدت «بفيبر» أن يتخذ قــراره الايديولـوجــى المــريــض فـي مواجهـــة ما أطلـــق عليـــه الـوجــود الإلهــي Against The existence of God ، وقد كان «فيبر» غامضا في تحديد عوامل تراجع التأثير الالهى أو للنتائج المترتبة على هذا الآمر (غير المتصور بالطبع). وهو يرى أن هـذا الأمـر يمـكـن أن يكـون أحـد الآثـار الجـانـبيـة لنمـو ما أطلـق عليـه العقلانيـــة العلمية Rise of scienific Rationality . ولعل هذا القول يؤكد تأثر «فيبر» بفلسفة «أجست كومت» A.Comte وموقفة من الدين والفكر الديني وموقع الدين في سلسلة التـطور الاجتـماعي والإنساني، كما يبرز تأثره بالاتجاه الوضعي أو الفلسفة الالحادية الوضعية Positive Atheism ، ذلك الاتجاه الذى يرى أن الإنسان يجب أن يحـل محـل الإلــه حيــث يمـلــك مصيره ويتـحـكـم بنـفـسـه فــي حياتــه ومستقبلـة[28] IF God is dead man must take His Place غير أن «فيبر» كان يشك في إمكان قيام الإنسان بالدور الألهي أو كبديل عنه. فقد كان على وعى خلال أفكاره عن ديناميات الايديولوجية Idedogical Dynamism ، بفشله في تقديم حل مناسب قادر على تخليص الإنسـان الحديث من أزمته المعاصرة، كما شخصها هو[29]، وكما خلقها أو أوجدها فكرة المريض .

ويؤكد «ميدجلي» Midgley أن «ماكس فيبر» شأنه شأن ماركس كان مقتنعا بوجود حالـة إغـتراب Alienation يعيشهـا الإنسـان الحـديـث ويعـانـي منهـا، كما كـان مقتنعـا مثل ماركـس بأنـه على الإنسـان أن يناضـل في سبيـل التخلـص من هذه الحالـة المرضيـة المفروضـة عليـه. ولكنـه يختلـف عن ماركـس في تحديـده لطبيعـة هذا الأغـتراب، وتحـديـد خصائصـه ودلالتـه. فعلى الرغـم مـن الـتزام «فيـبر» بالحـلـول الالحـاديـة الـوضـعيـــة لمشكـــلات الاغـــتراب الانـســانـــي المعاصـــرة[30] Atheístic Solutiom of the problen of human alienation فإنه كان

(٢٨) Ibid .

(٢٩) Ibid p. 123

(٣٠) Ibid p. 123

على عكس «ماكس» حيث يعترف في بعض كتابته بأن أحد العوامل الأساسية المؤدية والمفسرة للنموذج الحديث للاغتراب البشرى هو رفض الألوهية ورفض القيم الدينية. ويذهب «ميد جلي» Midg ley إلى أنه على العكس من «ماركس» فإن «فيبر» لم يقدم تشخصياً محدوداً ودقيقاً لحالة الأغتراب التى يعانى منها الإنسان الحديث فى نظره، وبالتالى فشل في إن يقدم طريقاً محدداً للخلاص DiFinite way of deliverence أو لمواجهة مشكلات الإنسان المعاصر ومن بينها مشكلات الاغتراب(٣١).

ويتضح من هذا ارتباط علم الاجتماع الغربي بنزعات علمانية واضحة كما تتضح في الاسراف في التفسير السوسيولوجي عند دروكيم وفي التوجه الوضعى عند كونت، وفي انطلاق «هربرت سبنسر» من الفكر التطورى عند «داورين» و «لا مارك» وما هو أخطر، فإن النزعة العلمانية سيطرت على فكر «ماكس فيبر» وهو المعروف بأنه حاول أن يضع نموذجاً للتفسير والتحليل والفهم الاجتماعي يقف في مواجهة النظرية المادية التاريخية عند ماركس حيث حاول وضع النظام الديني والقيمي كبناء أساسي مفسر للنظم الأخرى، في مقابل النظام الاقتصادي (علاقات وقوى الانتاج) عند ماركس(٣٢).

سادساً: يجب أن نميز بين علم الاجتماع الديني الذي هو فرع من فروع علم الاجتماع العام، وبين علم الاجتماع الإسلامي، فإذا كان الاثنان لا يتخصصان في دراسة النصوص الدينية كنصوص، وإنما يهتمان بانعكاس الإيمان بها على سلوك الناس وفكرهم وعلاقاتهم، وعلى النظم الاجتماعية داخل الجماعات والمجتمعات، وأثرها في الضبط الاجتماعي ـ القيمي والأخلاقي والمادي، أثر الدين على الممارسات الاجتماعية ـ السياسية والاقتصادية والأسرية والتربوية ... والوظائف الاجتماعية التي تؤديها النصوص الدينية في حياة الناس، وكيفية وأسباب اختلاف الناس في فهم وتفسير

---

(٣١) Ibid p.

(٣٢) Ibid.

النصوص باختلاف[٣٣] ظروفهم الاجتماعية، واختلاف بعض التطبيقات باختلاف الثقـافات ، وأثر الدين في تشكيل مؤسسات دينية، ودور هذه المؤسسات داخل المجتمعـات ، وعـلاقتها بالسلطة السياسية والقوى الاجتماعية، وأثر الدين في صياغـة آراء النـاس واتجـاهتهم نحـو مختلف القضـايا الاجتماعية، وأثر الدين في استمـرارية المجتمع وتماسكه وفي تغيره، وموقفه من قضايا التحول الثقافي والتنمية الاجتـماعية والتكـامـل[٣٤] . . الـخ على الرغم من أن هناك أوجه إشتراك بين علم الاجتماع الديني وعلم الاجتماع الإسلامي فى هذه الأمور، إلا أن هناك أوجه اختلاف فيما أرى، بينهما من حيث بعض قضايا الدراسة وبعض الجوانب المنهجية، وهناك اختـلاف أوضـح حول مداخـل الـدراسـة وأهدافها فعلم الاجتماع الديني يدعى الانـطلاق من المـوضـوعية وعـدم الالتزام بمعايير مسبقة وينظر إلى الدين كظاهرة اجتـماعية تتسم بالنسبية والتلقائية والخارجية والعمومية والتاريخية والقابلية لا للتغير بتغير الأماكن والأزمنة والظروف . . أما علم الاجتماع الإسلامي فإنه ينطلق مما يعده حقائقه أو ثوابت عقائدية ومعيارية وأخلاقية، ويعتبر الدين فطرة بشرية، والإسلام منهج إلهي سائغ لذوى العقول السليمة يقودهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال[٣٥]. هذا لايعنى إنكار وجود أديان وضعية تتسم بالنسبية والتغير، كما لايعني أن

---

(٣٣) **محمد احمد بيومي** : علم الاجتماع الديني ـ دار لمعرفة الجامعية ـ الطبعة الثانية ١٩٨٥ ص ش .

(٣٤) لمعرفة مجالات الدراسة في علم الاجتماع الدين أرجع إلى

J.M. Jinger: Sociology looks at Relgion - New York : The mocmillan Co 1963 pp. 141-158 .

وارجع إلى محمد بيومي : مصدر سابق ص ٢٣٤-٢٤٦ ، ويشير إلى أن «ينجر» «يحدد أربعة عشر مجالا من مجالات البحث في علم الاجتماع الدين، وهي التنوع الدين والبناء الاجتاعي، الدين والتعليم، الدين والموطنة في والصراع الديني، الدين والاهتمامات الاقتصادية، الدين والتمايز الاجتماعي، الدين والسحر، الدين وأبحاث الجماعات الصغيرة، القيادة الدينية، الدين والأبحاث السوسيونفسية» . . وللمزيد من التفاصيل أرجع إلى .

J.N Yinger : Areas For Research in the Sociology of Religion in Sociology and Social Research - Vol. 42 (July- April 1958) No.6 pp. 466-472.

وأنظر بيومي ـ المصدر السابق . ص ٢٣٤ .

(٣٥) **نبيل السمالوطي** ـ الدين والبناء الاجتماعي ـ دار الشروق ١٩٨١ ـ الجزء الثاني ص ٢١ ـ نقلا عن أبو الأعلى المودودي .

هناك العديد من مجالات المرونة في الإسلام في بعض جوانب التطبيق، واختلاف «أو تغير الفتوى بتغير الأماكن والأزمنة والأحوال والنيات والعوائد» كمايشير إلى هذا بن قيم الجوزية فى اعلام الموقعين»(٣٦)، ولايعنى عدم اختلاف الفقهاء في تفسير بعض النصوص، واختلافهم في المذاهب، ولايعني إغلاق باب الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص، خاصة في مجال المصالح المرسلة ولايعنى مصادرة الاختلافات فى الرؤى والتصورات . فعلم الاجتماع الإسلامي وإن كان ينطلق من معيارية محددة فإنه يدرس الواقع الاجتماعي دراسة موضوعية لوصفه وفهمه وتفسيره وتشخيص مشكلاته وعلاجها في ضوء هذه المعيارية. وهو إذ ينطلق من هذه المعيارية المعلنة لايمثل بدعة فقد أشار العديد من الدراسين إلى استحالة تحقيق الموضوعية المطلقة خاصة في مجال الدراسات الاجتماعية المتعلقة بأمور الدين والقيم والاخلاق(٣٧)، وهناك خلاف بين علم الاجتماع الدين وعلم الاجتماع الإسلامي من حيث مناهج الدراسة فإذا كان الأول يحاول دراسة الدين من الخارج إستناداً إلى أدوات البحث الامبيريقية أو الواقعية المتاحة في علم الاجتماع، بزعم أن الاعتقادات الدينية التى يعتنقها الناس ويخضعون لها، يمكن دراسة مظاهرها وانعكاساتها الاجتماعية من خلال الأساليب المسحية والتاريخية والمقارنة . . وهى كلها مناهج واقعية(٣٨)، وإذا استندت إلى نظريات

---

(٣٦) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ـ المعروف بابن قيم الجوزية . إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ ١٩٦٨ الجزء الثالث «فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد» . . ص٣ . ٥٨ .

٣٧ ـ للمزيد حول مشكلة الموضوعية في العلوم الاجتماعية ارجع إلى :

G.Myrdal: Objecivity in social research: london Gerold Duckworch and co. L.T.O. 1970 and K.Mannheim: Ideology and utopia- Trans. by louis Wirth and Edward shills: Harcourt Brace of World- N. Y. 1936.

وارجع إلى دراسات «زايتلين، وجولدنر، وترياكيان، فردريكس وغيرهم ممن عالجو قضايا أصول النظريات السوسيولوجية أوعلم اجتماع علم الاجتماع، وارجع إلى دراسة صلاح قنصوة بعنوان : الموضوعية في العلوم الإنسانية ـ درا الثقافة للطباعة والنشر ـ مصر ١٩٨٠

(٣٨) ارجع إلى دراسة «نوتنجهام السابق الإشارة إليها ص ٣١٠-٣١١ وارجع إلى محمد بيومي ـ مصدر سابق ص ٢٤٧-٢٦٤ .

تفسيرية، فهذه النظريات في غالبها لم تبن على أسس منهجية علمية سليمة وهى فى الغالب نظريات معيارية أو فلسفية . ولهذا يرى كثير من الدارسين أن الامبيريقية الخاصة ـ وما يطلق عليها «رايت ملز» C. RMills «المجردة» هى السبيل إلى الموضوعية المطلقة . أما علم الاجتماع الإسلامي فإنه لاينكر الدراسات الواقعية الموضوعية، ولكن يوظف هذه الدراسات فى مكانها الصحيح، فهناك العديد من التساؤلات حول خلق الإنسان وطبيعته وفطرته وسبب خلقه ووظائفه في الدنيا، ونوعية الضوابط العقائدية والاخلاقية والقيمية التى تحقق الصلاح له ولمجتمعه، وحول قضايا كالشيطان والحسد والهداية وأصل الدين. هذه كلها لايمكن الاجابة عنها من خلال دراسات امبيريقية أو واقعية ولهذا يزاوج علم الاجتماع الإسلامي بين المناهج الامبيريقية وبين ومناهج الرجوع للأصول الشرعية. ونستطيع القول بلغة علم الاجتماع أن الأساس العقائدي والشرعي الذى ينطلق منه الباحث في علم الاجتماع الإسلامي ويحدد له أطر الدراسة وتساؤلاتها ويتخذها منطلقا في تفسير المادة الامبيريقية، يمكن أن نعتبره بلغة علم الاجتماع بمثابة الإطار النظرى الذى ينطلق منه الباحث، تماما كما يفعل الباحثون الذين ينطلقون من نظريات وضعية وغالبيتها غير محققة وتتسم بطابع فلسفي تحليلي، مع الفارق الضخم بين الحالتين بطبيعة الحال بسبب اختلاف مصدر الإطار المرجعى في الحالتين.

وبالنسبة لمداخل الدراسة فهناك اختلافات بينه بين علم الاجتماع الديني وعلم الاجتماع الإسلامي في مداخل الدراسة ـ فالمدخل الاسلامي في دراسة المجتمع ينطلق من التصورات الاجتماعية في الإسلام، وهى أمر فصله العديد من الباحثين (أبوزهرة والنمر وشلتوت . . الخ)[٣٩]. أما علم الاجتماع الديني فيتصارع داخله عدة مداخل متناقضة لاتقوم على أساس تحقيق امبيريقى منهجى سليم، وإنما على أساس رؤى متأثرة بخلفيات ايديولوجية في غالييتها. وأحيانا يطلق على المداخل إسم النماذج models أو أحيانا يقال النموذج الوظيفي، وأحيانا النظرية الوظيفية، وأحيانا المدخل الوظيفي، وهذا ينطبق على المداخل العضوية والمادية الجدلية والتحليلية والتطورية

(٣٩) انظر دراسات ـ محمود شلتوت . الإسلام عقيدة وشريعة ومحمد أبو زهرة عن الإسلام والتنظيم الاجتماعي .

والتاريخية . . الخ . ولعل الفرق بين النموذج من جهة وبين المداخل والنظريات، فرق في الاستغراق وفرق بين العام والخاص (٤٠) .

وأهم المداخل المتصارعة في علم الاجتماع الديني والتى تختلف في بعض مقولاتها عن المدخل الإسلامي في دراسة الدين وإن كانت تتفق في بعضها فالاختلاف بَينّ في المنطلقات والأهداف وأهمها :

أ ـ المدخل الوظيفي، وهنا ينظر إلى الدين كأحد الأجزاء المتفاعلة داخل المجتمع الذى يؤثر ويتأثر ببقية الأجزاء . وهو بهذا المنظور مجموعة العقائد والممارسات التى تحقق تكيف الناس مع بيئاتهم المادية والاجتماعية، ويؤدى مجموعة من الوظائف الاجتماعية والنفسية والتكاملية والتفسيرية ـ فهو يقوم بتفسير للحياة والموت والصحة والمرض والظلم والمعاناة . . ، ويشبع للانسان احتياجاته الروحية . وهذا المدخل ينظر إلى الدين كأحد الضرورات الوظيفية للنسق الاجتماعي، حيث يقدم للانسان في المجتمع مجموعة من القيم المطلقة أو المثالية التى يُنشًأ الناس على احترامها، وبالتالي يحقق درجة من الاتفاق القيمي والمعياري، وهو أمر لازم لوحدة الفكر والسلوك التى تتيح الفرصة لقيام الحياة الاجتماعية . وهكذا يفسر الدين في ضوء وظائفه، خاصة الوظيفة التكاملية ووظيفة الضبط الاجتماعي (٤١) .

ب ـ المدخل المادى وأهم من يمثل هذا المدخل «كارل ماركس» والماركسيون، وهم يربطون الدين بالمجتمع الطبقى والصراع الطبقى وصراعات المصالح والصراع الاقتصادي . فقد ركز «ماركس» اهتمامه على وظائف الدين في المجتمع الطبقى، ودوره في تزييف الوعى بالواقع الفعلى للتفاوت والاستقلال، واخماد الوعي الطبقي لدى أبناء الطبقة المستغلة المستعبدة . ويبدو هذا واضحا من قول ماركس «أن الدين هو أنين الكائن المضطهد، وقلب العالم عديم الرحمة،

---

(٤٠) Alex Inkels: What is sociology: Prentice Hall New Jersey 1964. p. 350.

(٤١) E. K. Nottingham: Religion: sociological view. N.Y. Randome Hoase 1971 p.p. 55-59.
وانظر . محمد بيومى مصدر سابق ـ ص ٢٢٥، وص ٢٧٠-٢٧٤ .

وحس الظروف القاسية، إنه أفيون الشعوب»[٤٢] . وقد سار «أنجلز» شوطا في تحليل العلاقة الجدلية بين الظواهر الدينية والطبقات الاجتماعية في مجتمعات محدده، حيث حاول مثلا تفسير النصرانية المبكرة في ضوء البناء الاجتماعي داخل مدن الامبراطورية الرومانية واليونانية[٤٣]، وتشير «إسكارف» B.R. ScharF إلى أن نظرية ماركس عن الدين تعد جزءاً من نظريته العامة في الأغتراب Alienation[ ] .

جـ ـ المداخل التطورية. ومن أنصار هذا المدخل «كونت» في قانونية للأحوال الثلاث والذى قرن الفكر الديني بالتخلف الاجتماعي وطفولة العقل والفعل، وقرن التقدم بتبني الديانة الوضعية، ويعد «هربرت سبنسر» من رواد هذا الاتجاه نتيجة لآرائه في التطور من البسيط المتجانس إلى المركب غير المتجانس. كقاعدة تنطبق على كل النظم بما في ذلك النظام الدينى . وهناك مناصرون لهذا لمدخل مثل «روبرت ماكيفر. و «روبرت بللا» وقد تأثر «بارسونز»، بهذا المدخل عند تحليله لمراحل تطور الحركات الدينية[٤٥] .

د ـ المداخل التاريخة . وقد استخدم بعض المفكرين الالمان هذا المدخل من أجل اختبار بعض الفروض المتعلقة بأثر الدين في صياغة بعض النظم في مجتمعات معينة خلال فترات تاريخية محدده ـ مثل «فيبر» و «ترولتش» وعلى سبيل المثال فقد حاول «فيبر» في دراسته الكلاسيكية عن «أخلاق المحتجين وروح النظام الرأسمالي» تحقيق فرض مؤداه أن المذهب «الدين الكالفيني لعب دوراً مستقلاً وخلاقاً في ظهور النظام الرأسمالي الحديث في أوربا في القرن السابع عشر»[٤٦] .

---

(٤٢) انظر محمد بيومي : مصدر سابق ص ١١٢، وأرجع إلى :

K. marx and F.Engles: On Religion: Moscow Foreign language Publishing House 1957.

(٤٣) انظر دراسات «انجلر حول» تاريخ المسيحية المبكرة» سنة ١٨٩٤، «حرب الفلاحين في المانيا» .

(٤٤) ارجع إلى دراسة B.P. Scharf بعنوان The Socological study of Religion- New york- Harper Torch books 1970. p. 83.

(٤٥) ارجع إلى دراسة «نونتجهام» السابق الإشارة إليها ص ٢٩٥-٢٩٧ .

(٤٦) محمد بيومي : مصدر سابق ـ ص ٢٢٨ .

هـ ـ المـداخـل المقـارنة. وهذه المداخل تعد أساساً عند المشتغلين بعلم الاجتماع للوصـول إلى تعميمات. ويعـد «فيبر» ممن إستخدم المدخل المقارن، فعندما حاول إثبات دور الأخلاق البروتستنتية في تكوين الرأسمالية، حاول أثبات هذا من خلال مقـارنة البروتستنتية بالديانات الهندية والصينية القديمة من حيث التـوجهـات الاخـلاقية في كل منهـا، وأثـرها على النشاط الاقتصادي. وقد استخدم هذا المدخل «روبرت بللا» R.Bellah من خلال أثبات وجود توجيهات أخـلاقية قائمـة على الـدين اليابـاني ساهمت في حدوث الانطلاقة الصناعية لليابان. وقد كان متأثراً في هذا البحث بتوجهات «فيبر» المنهجية[٤٧].

هذه هى أهم المداخل النظرية المطروحة في دراسة الدين في علم الاجتماع، وهى مداخل أقرب إلى النظريات الميتافيزيقية الفلسفية في كثير من قضاياها، حيث لم يتم صياغتهـا استنـاداً إلى دراسـات واقعية موضوعية لعينات ممثلة من مجتمعات العالم ولقطاعات ممثلة من الحقب التاريخية المختلفة، كما أنها لم تصدر عن تجرد وموضوعية وغياب للفروض الايديوليجة الخلفية. وإذا كان «بيرس كوهين» P. Cohen يصنف النـظريات إلى تحليلية ومعيارية وعلمية وميتـافيزيقية، فإنـه يرى أن النـظريات الاجتماعية أقرب إلى النظريات الميتافيزيقية، وهو يحاول بيان الأسباب التى تحول دون مسايره النظريات الاجتماعية للمعيار المثالي للعلم، في أن غالبيتها تتسم باللغو Tautology، وغـير القـابلية للاختبـار، والغموض في التنبؤ[٤٨]، ويضيـف إلى هذا «زايتلين، و«جولدنر» التوجهات الايديولوجية والفروض الخلفية Donain assamp-tions هذه الاختلافات بين علم الاجتماع الإسلامي وبين علم الاجتماع الدينى لابد من إبـرازهـا حتى لايعد علم الاجتماع الإسلامي فرعاً من فروع علم الاجتماع، أو فرعاً من أحد فروعه وهو علم الاجتماع الديني.

(٤٧) المصدر السابق ص ٢٣٠ وانظر كتاب.

Robert Bellah: Tokugawa. Religion. The values of pre industrial Japan- Glencoe. III. The Free press 1957.

(٤٨) برسى كوهين النظرية الاجتماعية الحديثة. دار المعرفة الجامعية ـ ترجمة عادل الهواري. ١٩٨٥ ص ٢٠-٣٤.

وهناك أوجه اختلاف أذن بين علم الاجتماع الإسلامي وعلم الاجتماع الغربي في أن الأول لا ينطلق من منطلقات وضعية أو موقفية أو دفاعية أو مصلحية كما إنه لاينطلق من منطلقات أو وثنية أو الحادية وهو لا يدافع عن طبقات أو مجتمعات معينة أو نظم محدده كما هو الحال في علم الاجتماع الغربي أو الشرقي ولكن علم الاجتماع الإسلامي ينطلق من منطلقات المنهج الإلهي متمثلاً في الإسلام عقيدة وشريعة وبالتالي فهو علم فاعل يقوم على الفعل لا على رد الفعل ويقوم على إرساء الأسس والمباديء والقواعد استناداً إلى الشريعة الإسلامية ويستهدف بناء المجتمع الصالح طبقا للمعيارية الإسلامية وليس المعيارية الوضعية المختلف عليها . وهناك أوجه التقاء بين علم الاجتماع الإسلامي وعلم الاجتماع العام يتمثل في مجالات الاهتمام المشتركة بقضايا المجتمع والجماعات والتنظيم والعلاقات الاجتماعية والتفاعلات البشرية والتنظيمات الرسمية وغير الرسمية والتغير الاجتماعي والثقافي والضوابط الاجتماعية ومحاولة التوصل إلى القوانين التى تخضع لها المجتمعات والجماعات والتنظيمات والعلاقات والظواهر الاجتماعية في ثباتها، والكشف عن اتجاهات التغير الاجتماعي وضوابطه والقوانين التى تحكم الحركة التاريخية وهناك مجال اهتمام مشترك بين علم الاجتماع الإسلامي وعلم الاجتماع العام في دراسة المشكلات الاجتماعية وكل الموضوعات المطروحة في النظريات السوسيولوجية وإن كانت منطلقات الدراسة والتحليل والتفسير مختلفة .

إذا كانت دراسات علم الاجتماع في العالم الغربي أو الشرقي تنطلق من نظريات سوسيولوجية لم يتحقق لها الشروط المنطقية للنظرية العلمية ويعوزها التحقيق التجريبي . . فإن علم الاجتماع الإسلامي ينطلق في دراساته لقضايا المجتمع من حقائق الدين الإسلامي وذلك في القضايا المتصلة بجوانب عقائدية أو شرعية ويمكنه الانطلاق من النظريات السوسيولوجية المحايدة عقائديا بالنسبة للقضايا الامبيريقية التى تتصل بالمصالح المرسلة والأعراف الصالحة .

تزعم دراسات علم الاجتماع الغربي إنها تعتمد على الدراسات الواقعية والمنهج الاستقرائي تحقيقا للحيدة والموضوعية العلمية . وفضلاً عن أن هذا الأمر مشكوك فيه

ويكفينا أن نرجع في هذا إلى ما كتبة «زايتلين» عن منطلقات علم الاجتماع الغربي وأهدافه(٤٩)، وما كتبه «الفين جولدين» A. Gouldner حول الفروض الضمنية(٥٠)، وما كتبه «الين داو» عن علمى الاجتماع(٥١)، وما كتبه «روبرت نسيت» حول العوامل التى أثرت في نشأة وتطور «التراث السوسيولوجي» Sociological tradition وما كتبه «رأيت ملز» عن الخيال السوسيولوجي فكل هذه الدراسات وغيرها تؤكد انحياز علم الاجتماع وإن ادعاءات الحيدة والموضوعية ليس سوى ستار ايديولوجي لدعم النتائج المساندة لبناءات سياسية واقتصادية واجتماعية معينة، أقول فضلاً عن هذا الأمر فإن علم الاجتماع الإسلامي لايقتصر على المنهج الاستقرائي فحسب فهذا المنهج له ميادينه في دراسة قضايا الواقع ونظمه وظواهره ومشكلاته وتغيره ذلك لأنه يستخدم إلى جانبه المنهج الاستنباطى الذى يتطلب استنباط الأحكام والمعارف من المصادر والأدلة الشرعية كما سبق أن أوضحنا. ويمكن القول بشكل ما أن عبد الرحمن بن خلدون هو المؤسس الحقيقي للاتجاهين الكبيرين الذين يتصارعا على ساحة الفكر السوسيولوجي في الغرب والشرق. وعلى الرغم من قول البعض من أن منطلقات الدراسات الخلدونية حول المجتمع كانت إسلامية(٥٢)، فإن هناك من الدارسين مثل «بايونس، وفريد أحمد» من يرون إنه شأنه شأن مؤسس علم الاجتماع في أوربا كان يسعى إلى تحقيق الحياد القيمي في دراساته الاجتماعية وإنه لم يحاول اكتشاف المباديء السلوكية والاجتماعية التى تسخر في النهاية في سبيل تطبيق نظام إسلامي عادل لم يكن هذا هدفه(٥٣)، والواقع أن ابن خلدون دخل إلى دراسة المجتمع من منطلق البحث في التاريخ ومحاولة تتحقيق روايته والكشف عما فيها من صدق وكذب. ويعد بن خلدون في نظر بعض الدراسين مؤسس نظريتى الصراع والتوازن. ويرى «جملوفتش» أن نظرية بن خلدون كانت أول نظرية علمية تطرح لتفسير الصراع والتحولات

(٤٩) Zietlin: op. cit. p.p. VII. VIII.

(٥٠) A. Gouldner: op. cit. p.p. 54-55.

(٥١) Alen Dawe. op. cit. p.p. 543-5.

(٥٢) ارجع إلى مقدمة ابن خلدون ـ تحقيق وتعليق على عبد الواحد وافي ـ ثلاثة أجزاء.

(٥٣) الياس بايونس ـ وفريد أحمد: مصدر سابق ص ٣٥.

الاجتماعية وتؤسس على دعائم نظرية وتعميمية شمولية لاتستند إلى أسس واقعية مقارنة(٥٤)، فابن خلدون يرى أن المجتمع الإنساني عمل إنساني متعمد لتعويض الضعف الإنساني ولتوفير فرص البقاء. والإنسان عنده ضعيف جاهل في البدء يتسم بالانانية. وقيام المجتمع عنده ينطوي على تناقض. فالإنسان من جهة مدفوع بأنانيته إلى التحرر من كل القيود، ومن جهة أخرى فإن فرص بقائه تعد قليلة، ما لم يكبح جماع نفسه وشهواته ويتخلص من انانيته ويتعاون مع غيره وهو يفسر قيام المجتمع في ضوء هذين البعدين المتناقضين وبسبب هذا الموقف المتناقض يرى ابن خلدون أن المجتمع البشري يكمن فيه احتمالات الصراع من الداخل والخارج، الأمر الذى يجعل التضامن الاجتماعي وما يقوم عليه من أسس أمر معرض للتغير وهو يرى أن التضامن يكون في أقوى حالاته في مواقف القله والخطر، ويكون في أدني حدوده في مواقف الوفره والسعة والرخاء(٥٥).

وهذا يعني أن بن خلدون هو المؤسس الحقيقي لمدرستي التوازن والصراع وهما الاتجاهان الذين يتأرجح بينها علم الاجتماع التقليدي والمعاصر. وقد استفاد بن خلدون من منطق الأصوليين الذى يجمع بين الاستدلال العقلي والخبرة الحسية. وقد رفض الأساليب المعيارية والخطابية فقد ركز على دراسة الظواهر للكشف عن صيغتها والقوانين التى تحكمها.(*).

كل هذا يعني أن علم الاجتماع الإسلامي يتفق مع علم الاجتماع العام الغربي والشرقي، في أمور، كما يختلف عنه في أمور أخرى. فهما يتفقان من حيث الموضوع حيث يعالجان قضايا المجتمع بنظمه وبتنظيماته وعلاقاته وبنائه ومشكلاته كما إنهما يتفقان في الاستناد إلى بناءات أواطر نظرية مطروحة في هذا العلم، بشرط إلا تتعارض مع المعايير والعقيدة والقيم والاخلاقيات الإسلامية، وبالأحرى بشرط أن تكون على الأقل محايدة عقائديا كذلك فإن هذين العلمين يتفقان في استخدام

---

(٥٤) المصدر السابق.

(٥٥) المصدر السابق ص ٣٥-٣٦.

"ظ صلاح قنصوه. الموضوعية في العلوم الإنسانية. دار الثافة ١٩٨٠ ص ٢٥-٢٧.

الأساليب المنهجية المستخدمة في الدراسات الميدانية والتى أرسى أسسها ابن خلدون ومكتشفوا المنهج التجريبي من بين علماء المسلمين وطورها علماء الغرب كالأسلوب المسحي والتاريخي والاحصائي والتجريبي والمقارن. كذلك فإن علمى الاجتماع العام والاجتماع الإسلامي يستندون إلى الدراسات الواقعية عبر الثقافية من أجل إجراء مقارنات لمعرفة جوانب الالتقاء والاختلاف بين الظواهر والعمليات المدروسة بهدف الوصول إلى تعميمات في هذا العلم. وهما يتفقان كذلك في الهدف النهائي وهو فهم وتفسير وتحليل قضايا المجتمع من أجل التوصل إلى القوانين التي تحكم حركة الإنسان والجماعة والتنظيمات في بنائها وتغيرها.

أما جوانب الاختلاف بين علم الاجتماع الإسلامي وبين علم الاجتماع الغربي والشرقي فتتمثل في نظري فيما يلي :

أ - اختلاف منطلقات وأهداف الدراسة في كل منهما على نحو ما بينا.

ب - إنفراد علم الاجتماع الإسلامي بمعالجة بعض الموضوعات لاتستطيع الدراسات الوضعية معالجتها.

جـ - الاستناد إلى منهج الرجوع للأصول اليقينية جنبا إلى جنب مع الرجوع إلى الواقع.

د - الاختلاف في مداخل تشخيص وتحليل مواجهة المشكلات والأزمات الاجتماعية.

هـ - الاختلاف في تحديد البناء المعيارى وهو أمر لازم لكل جوانب علم الاجتماع التطبيقي وعلوم اجتماع التنمية والتخطيط والانحراف..

السؤال الخامس :

هل يمكن الاختلاف فى الآراء، وهل يمكن أن تكون هناك نظريات في علم الاجتماع الإسلامي ؟

يمكن القول أن البناء المعرفي في علم الاجتماع الإسلامي يتكون من عدة أمور نوجزها فيما يلي :

أولا : الحقائق الإسلامية المتسمدة من النصوص الثابته في الأدلة الشرعية الأساسية وهذه لامجال للخلاف حولها لأنها الأساس الذى يقوم عليه علم الاجتماع الإسلامي وهو ما يمكن أن نطلق عليه الأساس الإيماني اليقيني .

ثانيا : حقائق إسلامية وردت في الأدلة الشرعية مجملة ولم تفصلها النصوص مما يفتح باب الاجتهاد والتفكير في أساليب تطبيقها في إطار الضوابط والمعايير الشرعية مثل نظام الشورى .

ثالثا : هناك القضايا التى يدرسها علم الاجتماع وتدخل في باب الاعراف الصحيحة أو المصالح المرسلة أو مواجهة مشكلات اجتماعية لايوجد بشأنها حلول إسلامية ملزمة بنص، هذه القضايا متروكة للباحثين في علم الاجتماع الإسلامي يجرون فيها بحوثهم الميدانية ويستعينون فيها بالنظريات المطروحة في مجال العلم والتى لاتمس أساساً من الأسس الشرعية أو العقائدية ويمكن أن يختلف الباحثون في فرضيات الدراسة وفي الاجراءات المنهجية وفي الاطر النظرية وفي تفسيرات ماتسفر عنه الدراسات الواقعية من نتائج ويمكن الوصول إلى تعميمات نابعه من دراسات مقارنه، فهنا مجال واسع للاجتهاد والاختلاف ولكنه اختلاف في إطار ضوابط ثابته هي الضوابط الإسلامية وبشكل لايؤدي إلى الصراع الفكري المدمر كما هو حادث في علم الاجتماع الوضعي التقليدي والمعاصر وذلك نتيجة لوحدة المنطلقات ووحدة المعايير - معايير الصدق في البحث العلمي - ووحده الهدف بين المشتغلين بعلم الاجتماع الإسلامي .

وهذا يعني أن الاختلافات الفكرية داخل المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع، هي الاختلافات حول قضايا نظرية أو تطبيقية تتصل بالمتغيرات المجتمعية التى تتعلق بالاعراف أو المصالح المرسلة أو التغيرات الاجتماعية والثقافية أو التي تتطلبها خطط التنمية الاجتماعية أو الاقتصادية أو الأدارية أو التربوية أو العمرانية . . فيما لم يرد فيه نص، وبشرط عدم التصادم مع نص شرعي .

ويجب أن نشير إلى أن كل العلوم الاجتماعية بما فيها علم الاجتماع، تنطلق بالضرورة من مجموعة مسلمات أو قضايا يعتقد في صدقها صدقاً أوليا Apriori أى قبل إجراء دراسات ودون إثبات امبيريقي أو بعدي Apostiroiri وبالتالي لاتخضع للمناقشة أو النقد أو التحليل. وينطبق هذا على علم الاجتماع داخل الدول الغربية الرأسمالية، كما ينطبق على علم الاجتماع داخل الدول الماركسية والاشتراكية. وعلى سبيل المثال فإن علم الاجتماع الغربي ينطلق من مسلمات حول الإنسان وحقوقه الطبيعية، ومن مسلمات حول المجتمع والبناء الطبقي والتباين الاجتماعي والفروق الفردية والملكية.. فمسلمة الحقوق الطبيعية التى تذهب إلى أن الإنسان له حقوقه الطبيعية بوصفة إنساناً وليس بوصفه عضواً داخل مجتمع، وفي مقدمة هذه الحقوق حق الملكية والعمل والاجتماع والاعتقاد وأبداء الرأى... وليس للمجتمع أن يسلب الإنسان هذه الحقوق لأنها حق فردي وليست منحة اجتماعية، ويستمد أنصار علم الاجتماع الغربي هذه المسلمات من بعض فلسفات العقد الاجتماعي خاصة عند «جون لوك» J. lock . وفي مقابل هذه المسلمات الغربية هناك مسلمات علم الاجتماع الماركسي حول الحياة المشاعية الفطرية وحول الحداثة النسبية لنظم الدين والملكية والأسرة والطبقة والدولة والضبط.. فهذه نظم ـ عندهم ليست فطرية ولكنها مستحدثه في تاريخ الإنسان وترتبط بالاستغلال والطبقية والصراع والعبودية.. وبالتالي يجب أن يقضي عليها. وقد اعتمد علماء الاجتماع الماركسي مثل «أندريفا» و«جيرزى فياتر» و«أوسيبوف» فى الانطلاق من هذه المسلمات، على كتابات «ماركس» الذى اعتمد بدوره على فلسفات «لويس مورجان» الذى اعتمد في هذا كلية على التاريخ الظني أو الفرضى. Conjectural History .

وهذا يعني إن الانطلاق في الدراسات الاجتماعية من مسلمات أو أفكار غير قابلة للمناقشة يعتقد في صحتها ليس بالجديد على العلوم الاجتماعية. ونحن في مجال علم الاجتماع الإسلامي عندما ننطلق من حقائق ديننا الحنيف لانستند على مسلمات تتصل بفلسفة المصالح الفئوية أو الطائفية أو تبرير الأوضاع القائمة، ولا أوضاع بشرية أو مخططة بشرياً، ولكن ننطلق من توجيهات الخالق ومن المنهج الإلهي الذي

أرتضاه لخلقه ليحقق لهم الصلاح في الحال والفلاح في المآل كما يقول أبو الأعلى المودودي .

ويحدد بعض المشتغلين بعلم الاجتماع الإسلامي أهم مسلمات هذا العلم النامي والتى يوجد حلوها اتفاق بين معظم المهتمين بهذا العلم فيما يلي[٥٦]:

(أ) اقـتراحات أو منطلقات أو مسلمات حول طبيعة العالم الطبيعي وإن الله سبحانه وتعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . . ﴾ (لقمان ٢٠)

(ب) منطلقات أو مسلمات حول الطبيعة المزدوجة للإنسان، فهو خليفة عن الله خلقه من تراب ونفخة من روحه سبحانه وتعالى وكرمه بالعقل، ومنحه حرية الإرادة والقدرة على التعلم وإتخاذ القرار . .

قال تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (ص ٧١-٧٢)

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . . ﴾ (الاسراء ٧٠)

وقال تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف ٢٩)

وقال تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ . . ﴾ العلق ١)

وقال تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة ٣١)

(٥٦) المصدر السابق .

(جـ) مسلمات تدور حول طبيعة الحياة الاجتماعية والنظام الاجتماعي والتوازن الاجتماعي من حيث وجود ضرورات أساسية في مقدمتها الدين كعقيدة ومنهج، وصياغة الدين لكل أساسيات النظم الأخرى التى لايقوم أى مجتمع إلا إذا توافرت كالاسرة والاقتصاد والسياسة والتربية. وهناك مسلمة التوازن الاجتماعي والتوازن القيمي والتوازن الاقتصادي والتوازن السياسي . . داخل المجتمع المسلم. . فهذا المجتمع يحقق التوازن بين الحرية والسلطة، وبين الملكية العامة والملكية الخاصة، في ضوء حقيقة أن الملك كله لله، بين مطالب الجسم ومطالب الروح، بين العلوم المدينية والعلوم الدنيوية التى تدرس مخلوقات الله، بين الأصالة والتمسك بالدين عقيده وشريعة ومتابعة التطورات العلمية والتكنولوجية سواء في مجال العلوم الطبيعية أو الاجتماعية أو الحيوية، بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الإعداد للحياة الأخرة . . . . الخ .

فالمنهج الإسلامي يحمي المجتمع من الانحراف والتطرف ويتضمن من الضوابط والمباديء والمعايير ما يحقق اقصى درجات السمو والتقدم الروحي والنفسي والمادي ويحول دون الانحراف سواء بالافراط أو التفريط ذلك على عكس الايديولوجيات الوضعية فعلى الرغم من الشعارات البراقة التى ترفعها كل الايديولوجية فإنها تفشل في التطبيق في تحقيق أى منها نتيجة العجز في البناء الفكري والمعياري ونتيجة لأنها تنبع عن مصالح فئوية محدده ونتيجة لفساد أنصارها. فهنا تصبح الرأسمالية مستغلة مسببه للصراع والظلم التفاوات الحاد بين الناس وتصبح الديمقراطية صراعاً على السلطة والحكم ويصبح الولاء فيها للشعب والادارة الشعبية وليس لله وأحكام الدين، وتصبح الاشتراكية نموذجاً للدكتاتورية والبيروقراطية والفساد السياسي في اقذر صورة. وهناك مسلمة إن بداية البشرية اقترنت بالشكل الأسري وإن آدم هداه الله . ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر ٢٤) .

ومن تكريم الله للإنسان أن أمده بالمنهج الإلهي وهذا المنهج يحتاج إلى قوة بشرية تطبقه نتيجة لحرية الإرادة التي وهبها الله للإنسان .

وهذا المنهج هو ما يحقق السعادة في الدنيا والآخرة والمنهج الإلهي محتاج إلى قوة بشرية لتطبيقه، وإن الانحراف عن المنهج الإلهي هو السبب في ما يعانيه الإنسان والمجتمعات من مشاكل وأزمات وإن الإنسان مخير وهناك الثواب والعقاب الإلهي في الدنيا والآخرة وهذا يثير قضية مسئولية السلطة عن تنفيذ أحكام الله .

(د) مسلمات تدور حول التاريخ البشري فقد استغرقت الرؤية التاريخية القرآنية تاريخ الإنسان منذ خلق آدم عليه السلام وحتى محمد عليه الصلاة والسلام وإلى جانب هذه التغطية الرأسية لتاريخ الإنسان ظهرت تغطيات أفقية للأحداث المعاصرة للرسول عليه السلام مما تفصله كتب السيرة وأسباب النزول. وعلى عكس النظريات الوضعية، فقد أجمل القرآن الكريم في مجال التنبؤات المستقبلية حيث اكتفى بوضع الخطوط العريضة والأساسية التي تحكم حركه الإنسان والمجتمع والتاريخ[٥٧]، ويتمثل الهدف الأساسي من العروض التاريخية في القرآن الكريم في إثارة الفكر البشري ودفعه للبحث عن الحقائق وتقدم خلاصات التجارب البشرية السابقة من أجل تجنب تجارب المخاولة والخطأ التى تدمر الإنسان. هذا إلى جانب إستخلاص السنن الثابتة التى تحكم حركة الإنسان في الدنيا والآخرة وتمده بعناصر التوقف والاستمرار لتكون مسيرته على هدي الدين الإسلامي الحنيف. ومن ضمن المسلمات التاريخية الإسلامية أن حركة المجتمعات في مسيرتها التاريخية ليست حركة عشوائية وإنما تحكمها سنن الله الاجتماعية والتاريخية، فالظلم يؤدي إلى التهلكة والقوة والبطش في الباطل مصيره الدمار وإتباع الحق يحقق السعادة في الدنيا والآخرة[٥٨] . . فالسنن الإلهية نافذه بغض النظر عن معايير الكم والكيف والقوه والثراء. ومن ضمن المسلمات الإسلامية التاريخية هداية الله لآدم بعد نزوله إلى الأرض والدفع والمستمر بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر ومنها أيضا أن الله ينفذ جانبا من ارادته عن طريق البشر .

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ (التوبة ١٤)

---

(٥٧) عماد الدين خليل : التفسير الإسلامي للتاريخ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٥ ـ ص ٩٧-١١٧ .

(٥٨) المصدر السابق .

وهـذا تفضـل من الخـالق بالحـاق الفعالية للبشر في تشكيل ظواهر المجتمعات وأحداث التاريخ في إطار إدارة الله وعلمه ومشيئته. ومن المسلمات التى ينطلق منها المشتغلون بعلم الاجتماع الإسلامي . . ن العـروض التاريخية في القرآن الكريم تستهدف خدمة الإنسان في حاضره ومستقبله وذلك لأن استخلاص السنن الإلهية في التـاريخ والمجتمعـات من القـرآن الكـريم يحولهـا إلى قوة دافعة محركة تفرض على الجماعات المؤمنة الملتزمة تجاوز مواقع الهلالك والتمسك بكل مايؤدي إلى الفوز والنجاة برضـاء الله في الـدنيا والآخرة. ويمكننا استنتاج بعض هذه المسلمات من الآيات القرآنية الكريمة[٥٩] مثل

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف ١١١)

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يونس ١٣)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد ١٠)

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

(الاحزاب ٦٢)

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ (النمل ٥٢)

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝٣٤ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت ٣٤-٣٥)

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم

٥٩) المصدر السابق .

مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (غافر ٢١، ٢٢)

هذه الآيات الكريمة وغيرها كثير هى الاساس التى تبني عليه المسلمات التاريخية التى ينطلق منها المشتغلون بعلم الاجتماع الإسلامي خلال مسيرتهم للتعرف على القوانين التى تحكم الحياة الاجتماعية الماضية والحاضرة والمستقبلية .

وضمن الحقائق التاريخية التى ينطلق منها الباحث في علم الاجتماع الإسلامي حقيقة استمرار هداية الله للإنسان منذ آدم عليه السلام الذى تاب عليه ربه وهداه ويتمثل هذا في حقيقة إرسال النبوات والكتب التى تحمل منهج الله للإنسان وإن آخر هذه النبوات والكتب التي تحمل منهج الله للإنسان وآخر هذه الرسالات رسالة الإسلام عقيدة وشريعة التى أرسل بها محمد عليه السلام خاتم الأنبياء والمرسلين وآخر الكتب المنزلة القرآن الكريم ومن بين الحقائق التاريخية كذلك أن منطلقات التغيير وتحسين احوال البشر والتنمية الحقيقية للإنسان ومجتمعه تنطلق من الإنسان ذاته من خلال تغيير الناس لانفسهم . قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ ﴾ (الرعد ١٠)

وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال ٥٣)

هـ - مسلمات تدور حول السلوك البشري من حيث دوافعه أو محركاته واهدافه وأساليب تغييره فقد خلق الله تعالى الإنسان من التراب ثم من نفخه من روح الله سبحانه وتعالى وقد خلق الله نفس الإنسان والهمها فجورها وتقواها ولايستقيم أمر الإنسان ولايفلح إلا إذا زكاها بردها عن الهوى وأجبارها على السير في الطريق المستقيم .

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس ٧-١٠)

وقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين .

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (التين ٤-٦)

وقد وصف الله سعى الإنسان بأنه شتى وبين للإنسان شروط الهداية .

قال تعالى ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الليل ٤-١٠)

وضمن المسلمات التى ينطلق منها المشتغلون بعلم الاجتماع الإسلامي وجود ثلاثة مراتب أو جوانب للنفس الإنسانية(٦٠) وهي :

(أ) النفس الامارة بالسوء وهي النفس الشهونية العدوانية .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ (يوسف ٥٢)

(ب) النفس اللوامة التى تراقب فكر وسلوك صاحبها لرده عن الهوى واتباع الصراط المستقيم .

قال تعالى : ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة ٢)

(جـ) هناك النفس المطمئنة الراضية المرضية وهى أرقى مراتب النفس بطاعتها لله فيما أمر ونهي .

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (الفجر ٢٦-٣٠)

والإنسان كائن ضعيف .

---

(٦٠) نبيل السمالوطي : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث ـ دار الشروق الطبعة الثانية ١٩٨٤ ص ٦٩-٧٠ .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٢٨)

ومن طبيعة الإنسان الهلع والجزع والانانية إلا المؤمنين المصلين

قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١)
إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ
(٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (٢٥) وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (المعارج ١٩-٢٦)

وقد شرع الله الاستعاذه من الشيطان والندم والتوبة والاستغفار كمنهج للرجوع عن المعاصي والعودة إلى الطريق المستقيم وهو منهج الله .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف ٢٠١)

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء ١١٠)

(و) مسلمات تدور حول وظيفة الإنسان في الدنيا : فقد خلق الله الإنسان لتوحيده بالعبادة .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات ٥٦)

وقد خلق الله الشعوب والقبائل للتعارف فيما بينهم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ . . ﴾
الحجرات ١٣)

وقد انشأ الله الإنسان من الارض من أجل تعميرها والتنمية بمفهومها الواسع

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود ٦١)

وقد خلق الله الإنسان إلى جانب هذا لنشر دين الله ومنهجه في الأرض ومحاربة الكفر والشرك والفساد ومن مهام الإنسان الأساسية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٤)

وقال تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾

والتفاضل بين الناس في الإسلام له معاييره فهناك التفاصيل بالتقوى .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣)

وهناك التفاضل بالعلم .

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ (المجادلة ١١)

وهناك التفاضل بالعمل الصالح الذي يطبق المنهج الإلهي من حيث الأوامر والنواهي ودعوة الآخرين إلى تطبيق هذا المنهج .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت ٣٣)

وقال تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ (الكهف ١١٠)

(ز) مسلمات تدور حول وظيفة كل من التعاون والتوازن من جهة والدفع والصراع من جهة أخرى داخل الحياة الاجتماعية. فقد خلق الله الإنسان لعبادته وجعل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا وطالب الناس بالتعاون والتكامل على البر والتقوى من أجل تعمير الأرض والتنمية وتطبيق المنهج الإلهي فالتعاون يكون في مجال البر والتقوى ويكون مذموما إذا كان في مجال الإثم والعدوان.

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (المائدة ٢

والمجتمع المؤمن يقوم على التراحم والتعاون والتعاطف والتعاضد قال عليه السلام «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (صحيح مسلم ص **١٩٩٩** حديث رقم **٢٥٨٥/٦٥**) وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى» (صحيح مسلم ص**٢٠٠٠** حديث رقم **٢٥٨٦/٦٦**) والإسلام يعرف علميات التنافس والتقويم وتدرج الناس في المراتب والدرجات والصراع... الخ، لكن يضع كل عملية في موضعها بناء على معيار جوهرى هو المعيار الإيماني. فالتنافس هو التنافس في الخيرات والعمل الصالح وإرضاء الله وقد وردت كلمات. ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (المطففين ٢٦)

في القرآن الكريم عقب ذكر أهل الجنة وحال الأبرار فيها وما يتمتعون فيها من نعيم وعلى الإنسان إن يتنافس مع غيره من المؤمنين لنيل هذه الدرجة الرفيعة في الآخرة أهل الجنة وحال الأبرار فيها وما يتمتعون فيهامننعيم وعلى الإنسان أن يتنافس مع غيره من المؤمنين لنيل هذه الدرجة الرفيعة في الأخرة. وسبق أن ذكرنا أن الإسلام يرتب الناس مراتب حسب الإيمان والعلم والعمل الصالح وإفادة الآخرين، والإسلام يضع عمليات الصراع التى يطلق عليها الدفع «دفع الناس بعضهم ببعض في موضعها الصحيح فالصراع إنما يكون بين الكفر والإيمان.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة ٢٥١)

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ . . . ﴾ (الحج ٤٠)

فالدفع (أو الصراع) هنا له وظيفة ايمانية وهو حفظ الدين ضد اعداء الدين ودفع الكفار حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وتمهيد سبيل الدعوة الإسلامية ومحاربة اعداء الدين سواء داخل أو خارج المجتمع الإسلامي، ومحاربة الفساد والمنكر وإتاحة الفرصة لعمارة الأرض طبقاً للمنهج الإسلامي . . .

قال عليه السلام آمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقها وحسابة على الله (صحيح مسلم جـ١ ص ٥٢ حديث رقم ٢٢/٢٠) .

وإبراز المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع لحقيقة التوازن والصراع وهى بالمصطلحات الإسلامية العدل والتكافل من جهة والدفع من جهة أخرى، وأثر كل منهما في الحياة الاجتماعية كمسلمة أو حقيقة مستمدة من الأدلة الشرعية، تجنب هذه المدرسة التطرف والاستقطاب الحادث اليوم في النظرية السوسيولوجية المعاصرة بين النظريات اللبرالية الغربية التى تركز على التوازن وتحول العالم الاجتماعي إلى عالم أخلاقي وتعجز عن تفسير الصراع والتغير، وتعتبر الصراع مرضا أو أمر مرفوضا وفي المقابل النظريات الماركسية والراديكالية التى تركز على الصراع بكل اشكاله الصراع الاقتصادي والطبقي والقيمي والسياسي وصراع الأجيال وصراع القوى الاجتماعية . . وتعتبره الحقيقة الاساسية في الحياة الاجتماعية ويعجز بالتالي عن تفسير حقيقة التوازن والتكامل كشرط تنظيمي لقيام الحياة الاجتماعية ذاتها وتجدر الإشارة هنا أن ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهره في هذا الصدد هو الحقيقة الموضوعية الوحيدة فيما يتعلق بالتاريخ الاجتماعي للإنسان وهذا هو ما يطلق عليه بشارة «علم الاجتماع القرآني»[*] ويشير «بايونس» إلى إننا يجب إلا نخجل من ممارسة قيمنا في

(*) للمزيد من المعلومات حول علم الاجتماع القرآني الذى نادى به بشاره على ارجع إلى دارسة بايونس وأحمد : مقدمة في علم الاجتماع الإسلامي ص٥٣ . وإلى مقاله له بعنوان «علم الاجتماع والواقع المسلم» مذكورة في كتاب =

دراستنا العلمية ذلك لأن الآخرين لايخجلون من ممارسة قيمهم أيضا في دراستهم العلمية[٦١] ، مع فارق اساس وهو إن قيمنا مستمده من خالق البشر والكون في حين من قيمهم مستمده من بشر يخطئون ويصيبون يتأثرون بالعديد من المؤثرات والعوامل .

هذه هي أهم المنطلقات أو المسلمات التى يجب أن يكون حولها اتفاق بين المشتغلين بعلم الاجتماع الإسلامي أما مجالات الحياة الاجتماعية الأخرى وما طرحه التغير في الثقافة المادية من مستحدثات فيمكن أن تتاح الفرصة أمام علماء الاجتماع للاجتهاد في الدراسة والتفسير وتقديم نماذج في مجال التنمية أو التحضر أو التعليم أو التصنيع أو إلادارة أو الإشراف أو الإنتاجية ورفع الروح المعنوية للعاملين . . . الخ

ويمكن أن يكون هناك هامش ممكن للاختلاف في الاجتهاد كما هو الحال في الاختلاف في الآراء وفيما يتعلق بمصالح الناس المرسلة . ولعل الشرط الإساسي الذي يحكم هذا الاختلاف ويحول دون أن ينقلب صراعاً هو الالتزام بالضوابط الإسلامية أو بأساسيات المنهج الإلهي عقيدة وشريعة . وتجدر الإشارة إلى أن هذه الضوابط لاتكبل حركة البحث العلمي النظرى أو التطبيقي ولكنها خير ضمان ضد الشطط أو التطرف أو الإنحراف .

السؤال السادس :

هل يمكن اقامة علم اجتماع ملتزم بتوجيهات عقائدية وقيمية وفكرية مسبقه ، وهل هذا يتعارض مع الموضوعية المفترضة في الدراسات العلمية ؟

للاجابة على هذا السؤال نطرح أولا عدة حقائق على النحو التالي :

أولا : الهدف النهائي من أى علم هو هدف تطبيقي بالضرورة فالعلم يستهدف

= العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية إعداد إسماعيل الفاروقى ، وعبدالله نصيف ـ عكاظ ١٩٨٤ ص ٤١-٦٤

(٦١) الياس بايونس ، وأحمد : المصدر السابق .

تحقيق الفهم التفسيرى للظواهر المدروسة ويكون هذا من خلال الوصول إلى القوانين التى تحكم الظواهر فى ظهورها واختفائها وهذا هو ما يمكن العلماء من التنبؤ المستقبلي بمسار الظواهر وثباتها وتغيرها وبالتالي يمكنهم من التحكم في هذه الظواهر لصالح الإنسان. ولعل العلوم الاجتماعية تعاني من مشكلة كبرى في هذا الصدد فهناك صراع في هذا العلم بين المعني وبين القياس في دراسة الظواهر والموضوعات الاجتماعية. فهناك من الباحثين من يؤكد أن علم الاجتماع لن يتقدم إلا من خلال تكميم الظواهر والقضايا الاجتماعية لدرجة المنادة بإنشاء علم اجتماع رياضى mathematical Sociology مثل رواد الوضعية السوسيولوجية (جورج لندبرج، وستيوارت دود) وهناك من المباحثين مثل «ماكس فيبر» M.Weber من ينادون بمنهج الفهم Verstehen : Method of Understanding كبديل للقياس الكمي لأن الظاهرة الاجتماعية لها معنى داخلي إلى جانب مظهرها الخارجي الأمر الذى يستحيل معه التكميم والقياس بعكس الظواهر الطبيعية[٦٢]، وقد ضاق العديد من أقطاب علم الاجتماع ببدعه التكميم فأخرج «بيتريم سوروكين» دراسة شهيرة بعنوان «الخرافات والخزعبلات في علم الاجتماع الحديث» أشار فيه إلى أن الاسراف في استخدام الاساليب الرياضية والاحصائية في معالجة موضوعات علم الاجتماع أوقعت العديد من الدراسين فيما اطلق عليه «جنون الكم» وهوس العدد وجعلهم يتغافلون عن معنى العلاقات والتفاعلات والأفعال الاجتماعية[٦٣]، وهناك صراعا بين أنصار التنظير السوسيولوجي وبين أنصار النزعة الامبريقية المجردة Abstract empericism ويشير «تشارلس رايت ملز C.R. Mills إلى أن أكبر ممثل للتنظير هو «تالكوت بارسونز» T. Parsons وأكبر ممثل للامبريقية «بول

(٦٢) Max Weber: Theory of Social and economic organization.
New York- Oxford University Press. 1947. p. 103.
وارجع إلى نبيل السمالوطي الايديولوجيا وازمة علم الاجتماع المعاصر مصدر سابق ص ١٠٩-١١٠ .

(63) Pitirim Sorokin: Fads and Foibles in Modern Sociology and related Sciences
Chicago: Regenery 1956. p. 160.
وأنظر نبيل السمالوطي المصدر السابق ص ١١٠-١١١ .

لازار سفيليد» P. Lazarsfeld [٦٤] ويؤكد روبرت ميرتون إن علم الاجتماع يعاني من حالة انفصام شبه كاملة بين النظرية والتطبيق فهناك العديد من البحوث الميدانية التى لاتستند إلى أسس نظرية مفسره كما أن هناك العديد من النظريات التى لاتستند إلى تحقيق ميداني لصدقها[٦٥] .

وإلى جانب هذا هناك صراع بين الباحثين حول تحديد طبيعة الظواهر والموضوعات التى يدرسها علم الاجتماع فهناك من الباحثين مثل «راد كلف براون» R. Brown من يرون أن النسق الاجتماعي نسق طبيعي يمكن دراسته من خلال المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية ويمكن فهم القوانين التى تحكمه. وهذا القول يشايعه «كونت» و «دوركيم» و «موريس كوهن» وغيرهم من الدارسين . وهم يحاولون إيجاد المبررات لعدم تمكن العلماء حتى الآن من التوصل إلى هذه القوانين التى تحكم الظواهر الاجتماعية مثل تعقد الظواهر ونسبيتها وتعدد متغيراتها أو العوامل المتحكمة فيها وحداثة العلم نسبيا وصعوبات القياس والتكميم ، وفي مقابل أنصار هذا الاتجاه هناك من الدارسين من يرون أن النسق الاجتماعي نسق إنساني أخلاقي مثل «ايفانز بريشارد» وهو يرى أن العلوم الاجتماعية علوم إنسانية وليست طبيعية فهى تهتم بالوصف والتحليل والكشف عن الانماط والنماذج الاجتماعية وليس الوصول إلى قوانين كذلك فإن هدفها البرهنه على خلو النسق الاجتماعي من التناقض بالكشف عن أسباب الظواهر وارتباطاتها المتبادلة وليس هدفها الكشف عن العلاقات الضرورية أو الحتمية بين مختلف أنواع النشاط الاجتماعي واخيراً فإنها تؤل أكثر مما تفسر[٦٦] .

ويؤكد «برتشارد» على عدم وجود مايطلق عليه قوانين اجتماعية وإن كل ما ظهر في

---

(٦٤) للمزيد من الدراسات حول أنصار التنظير وأنصار النزعة الامبريقية ارجع إلى .

- Nathon Glazer: The rise of Social research in Europe Sciences N.Y. Meridian 1959 p.50 - R. Merton: The bearing of sociological theory on emperical reserch in R. Merton: Social theory and social structure: Glencoe The Free Press 1957. p. 86.

وارجع إلى نبيل السمالوطي الايديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر ص ١١٤-١٢٠ .

(٦٥) R. Merton. Ibid. P. 99.

(٦٦) إيفانز بريتشارد : الانثروبولوجيا الاجتماعية ترجمة الدكتور احمد أبو زيد - منشأة المعارف ١٩٦٠ ص ٩٩ .

هذا المجـال لايخـرج عن بعض الأحكـام الحتمية أو الغـائية أو العملية وأن كل التعميمات التى حاول العلماء اطلاقها جاءت غامضة فضفاضة مما يقلل من قيمتها على فرض صدقهـا. وهو يشير إلى ان هذه التعميمات ليست سوى تكرار للمعاني الجزئية وإبراز الاشياء العادية المألوفة في صور أخرى وعلى مستوى استدلالي[٦٧] ساذج، وقـد جرى حوار بين بعض أنصـار توصـل العلوم الاجتـماعية الى قوانـين علمية (ش اندبجسكى S. Andrijeski وبين نقاد هذا الرأى[٦٨]، ومن الواضح إنه لاتوجد قوانين في العلوم الاجتماعية (خاصة علم الاجتماع) لها نفس عومية وإطلاق وصدق القـوانـين الـطبيعية لعده أسباب منها أتسام الظاهرة الاجتماعية وبالتعقيد والنسبية والـطابع التاريخي والبعد الثقافي وارتباطها بالإدارة البشرية واستحالة إجراء تجارب دقيقة في مجال العلم على أساس العزل التجريبي، والخلفيات الايديولوجية والفكرية للباحثين كما تتمثل في الانطلاق من نظريات وآراء وأفكار مسبقة (كالوظيفية أو المادية الجدلية إلى جانب صعوبة أو عدم دقة القياس .

وإذا كان هذا هو حال علم الاجتماع حيث لاتوجد فيه قوانين علمية ثابته ولاتوجد فيه نظريات ذات صياغـة منـطقية محققه امبيريقيا، وغالبية هذه النظريات موجهة ايديولـوجيا ومـوضوعاته نسبية متغيره سواء من حيث الموضوع أو من حيث المعايير والضوابط فكيف يتحقق الهدف النهائي لهذا العلم وهو توجيه الظواهر الاجتماعية والمـوضـوعات والمتغيرات المجتمعية لصالح الإنسان استنادا إلى فهم القوانين التى تحكمهـا في ثبـاتهـا وتغيرها إذا كان هذا العلم عاجزاً حتى الآن عن تحقيق الفهم والتوصل إلى تلك القوانين أو حتى تحقيق حد أدنى من الالتقاء حول ما يشبه الإطار التفسيري العام والمصطلحات الأساسية حتى لو وجد مثل هذا الأمر فإنه لا يخلو من نسبية زمـانية ومكانية وشخصية ولايحقق صالح الإنسان بصفته إنساناً. وبدلاً من الالتزام ، بالتفسيرات والتوجيهات الوظيفية أو الوضعية أو التطورية أو المادية في رسم الخطط والبرامج المجتمعية التى تستهدف تحسين أوضاع الإنسان والمجتمع ألا يكون

(٦٧) المصدر السابق .
(٦٨) المصدر السابق .

الأكثر عقلاً ولأكثر موضوعية والأكثر حكمة أن تسترشد بالاحكام والمعايير الشرعية المنزلة من رب البشر وخالق الكون؟ وإذا كانت المدارس الوضعية تقدم آراء شخصية نسبية تخدم مصالح محدده ولاتصلح لكل المجتمعات ولا لكل الازمان، فإن الشريعة الإسلامية تحقق بكفاية مطلقة أهداف علم الاجتماع كما يشير إليها علماء الاجتماع جميعاً وهي تحقيق أحسن الظروف للحياة البشرية الكريمة .

ثانيا : يدرك المتأمل في دارسات علم الاجتماع إنه لاتناقض بين الموضوعية والالتزام بنظريات أو مدارس أو توجيهات فكرية بشكل مسبق فهناك مدارس في علم الاجتماع على أساس جغرافي كالمدرسة الفرنسية والمدرسة الامريكية والمدرسة السوفيتيه، والانجليزية والايطالية . . وهناك مدارس على اساس الاختلاف في التفسير والتحليل والفهم كالمدرسة الوظيفية والمدرسة الوضعية والمدرسة الرمزية والمدرسة المادية الجدلية . . كل منها تلتزم بتوجيهات فكرية مسبقة، في بحوثها ودراساتها دون أن يدعي أحد أن هذا يخالف الموضوعية. وسبق أن ذكرنا أن هناك إتجاهاً كبيراً له العديد من المناصرين يطلق عليه اتجاه التنظير في علم الاجتماع يؤكد ضرورة إنطلاق أبحاث علم الاجتماع من بناءات نظرية واضحة ولعل الدارسات الامبيريقية الخاصة لاتكون عادة إلا على المستويات الجزئية الصغيرة C. Micro -Level أما أغلب النظريات متوسطة المدى Middle range theories والنظريات الكبري Grand theories فتستخدم في توجيه العديد من الدراسات الميدانية بما فيها الدراسات الصغرى، كما تستخدم في تفسير نتائجها. ويلاحظ اليوم أن دراسات علم الاجتماع أصبحت تتم في الكثير من الاحيان من خلال مؤسسات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وحكومية أو أهلية وهذه المؤسسات هى التي تمولها وتحدد أهدافها سلفاً وهذا يعنى أنها أبحاث ملتزمة سلفا بتوجيهات محددة. وهى خدمة أهداف مؤسسات التمويل، ولاننسى أن وزارة المستعمرات البريطانية وظفت بعض دارسي الانثروبولوجيا الاجتماعية لخدمتها في مرحلة معينة كما أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومؤسسات فورد وركفلر توظف العديد من الدراسات السوسيولوجية لخدمة

أهدافها، وإن مفاهيم التنمية وتنمية المجتمع ظهرت وتطورت داخل داوئر استعمارية (راجع كتاب علم اجتماع التنمية للمؤلف) .

ثالثا : من بين تقاليد علم الاجتماع ان يختار الباحث فروعه وتساولاته استنادا إلى معلومات وخبرات قد يستقيها من بناءات نظرية مسبقة ثم يقوم بجمع المادة من الميدان ثم يجدولها ويحللها احصائياً ويأتي إلى مرحلة التفسير وهنا يحتاج مصادر تفسيرية وهنا تقوم النظريات بالمهمة في هذا الصدد. وهذا يعني الانطلاق في التفسير من بناءات نظرية مسبقا. ويشير «مانهايم» في «الايديولوجيا واليوتوبيا» أن النظريات الاجتماعية تتأرجح بين أيديولوجيات تدافع عن الوضع القائم، أو يوتوبيات تحاول تجاوزه وتدميره .

رابعا : أن مفهوم العلمية والموضوعية والحيدة العلمية في العلوم الاجتماعية هى شعارات نقلناها نحن العرب عن الغرب دون وعي فالموضوعية في العلوم الاجتماعية تختلف عنها في العلوم الطبيعية(*) . كما يشير «جنرميردال» My. dal إلى أن العلم الاجتماعي النزية أو المحايد لم يوجد قط، ولاسباب منطقية لن يوجد على الأطلاق . فالموضوعية في مجال الانسان والمجتمع والتاريخ يجب أن تنطلق من حقائق في دراستها وفهمها وهذا لن يتوفر في الدراسات الوضعية ولكنها تتوافر فقط في حقائق الدين وهذا لايحول دون الدراسات التاريخية والواقعية على أن تلتزم بالتوجيهات الدينية لانها الحقائق الوحيدة في العديد من هذه المجالات .

خامساً : يؤكد العديد من الدارسين مثل «ميردال» إن العلوم الاجتماعية تتضمن بعداً سياسياً وتطبيقياً بالضرورة، ولايمكن أن تحقق الموضوعية المطلقة، وأن الأحكام القيمية تتسلل اليها من خلال المصطلحات المشبعة بدلالات قيمة مثل التوازن

(*) للمزيد من المعلومات حول الموضوعية في العلوم الاجتماعية واشكالياتها ومفاهيمها والخلاف حولها ارجع إلى دارسة «جنر مردال بعنوان» «الموضوعية في البحث الاجتماعي» صادر عن London- Gerald Duxkwordh 1975- P .54 وإلى كتاب «كارل مانهايم» بعنوان «الايديولوجيا واليوتوبيا» صادر عن London- Kagan Poul 1940 وكتاب صلاح قنصوة بعنوان : الموضوعية في العلوم الإنسانية - دار الثقافة للطباعة والنشر سنة ١٩٨٥ . و«بوجر» المعرفة الموضوعية ١٩٧٢م .

والاستقرار والصراع والتنمية التقدم والتخلف والتطور والوظيفة والطبقة . . . الخ .

السؤال السابع :

هل يمكن صياغة تعريف مبدئي لعلم الاجتماع الإسلامي يحدده من حيث الموضوع والمنهج والميادين .

على الرغم من صعوبة صياغة تعريف لعلم الاجتماع الإسلامي يحقق الأهداف والخصائص المنطقية من حيث الجمع والمنع أى يكون جامعاً مانعاً إلا إننا نستطيع بصفة أولية القول بأن علم الاجتماع الإسلامي هو العلم الذى يقوم بدراسة المجتمع البشري بمكوناته المختلفة (أفعال وتفاعلات وعلاقات ونظم وبناء . . .) في حالتي الثبات والتغير من خلال المنهج الاستنباطي الذي يعتمد على الرجوع للأدلة الشرعية في القضايا التى يوجد بشأنها نصوص ثابته واضحة ، ومن خلال المنهج الاستقرائى الذى يتصل بالرجوع إلى الواقع الاجتماعي والتاريخي في القضايا التى لايوجد بشأنها نصوص ثابته والتى تتصل بمصالح الناس المرسلة والتى يطرحها التغير الاجتماعي والثقافي المستمرين وذلك بهدف الفهم والتفسير والتقويم والتطبيق في ضوء الضوابط الشرعية والعقائدة .

فعلم الاجتماع الإسلامي يعتمد في تجميع عناصر البناء المعرفي له على منهجين أساسين :

أولا : المنهج الاستنباطي الذى يتصل بالاجابة عن بعض التساؤلات المطروحة فيه بالرجوع إلى الأدلة الشرعية وفي مقدمتها الكتاب والسنة وهنا يفحص التساؤلات المطروحة في علم الاجتماع حول الإنسان والجماعة والمجتمع والتغير والتنمية والإنحراف والنظم والتنظيم والإدارة . . الخ ونبرز أحكام الإسلام الواضحة في تلك القضايا المطروحة في هذا العلم وإجابات الإسلام المحددة على هذه التساؤلات .

ثانيا : المنهج الاستقرائي الذي يعتمد في فحص ودراسة الواقع التاريخي أو الاجتماعي أو الثقافي من خلال أساليب المسح والرجوع للتاريخ والتجريب واستخدام

الأسـاليب الاحصـائية. ويستخـدم هذا المنهج في بعض الحالات والصور وسوف نضرب بعض الأمثلة :

١ - تقويم الواقع الاجتماعي والسلوك والنظم والتنظيمات والعلاقات في ضوء الحقائق والمعايير الإسلامية .

٢ - اختبار نظريات سوسيولوجية محايدة عقائدياً ترتبط بقضايا مجتمعية نجمت عن التطور والتغير ولايوجد حولها ضوابط شرعية مباشرة داخل البيئات الإسلامية، وذلـك لإقـرارهـا أو تعـديلها أو إثبات فشلها في فهم وتفسير الواقع، وتقديم نظريات بديلة استناداً إلى تحقيق الفروض .

٣ - يطبق المنهج الاستقرائي من خلال دراسة الواقع الاجتماعي في مجالات معينة (سوية أو انحرافية) والاستعانة في تفسيره ببعض النظريات المطروحة في التراث السـوسيولـوجي والتى لاتتعـارض مع اسـاس عقائدي أو شرعي، والوصول بصددها إلى تعميمات واقعية .

٤ - محاولة الاستفادة من النظريات العلمية المطروحة في التراث والمحايدة عقائديا في دراسـة وتشخيص بعض المشكـلات الاجتماعية (مشكلات العمل والانتاجية والروح المعنوية أو مشكلات الشباب أو مشكلات التكدس والاحتقان الحضري أو مشكلات المجتمعات الريفية، مشكلات الإرادة . . الخ) ورسم السياسات والخطط والبرامج لمواجهتها بشرط الالتزام بالتوجيهات الإسلامية الاساسية .

٥ - دراسـة ورصـد الواقع الاجتماعي في الدول الاسلامية من أجل تهيئة السبيل لتطبيق الشريعة الإسلامية والتخلص من القوانين الوضعية المأخوذة من الشرق أو الغرب واستبدالها بالبدائل الإسلامية .

٦ - دراسة الأقليات المسلمة وظروفها الاجتماعية ومشكلاتها في الدول غير الإسلامية من أجل مساعدتها على تحسين أوضاعها ودعمها .

٧ - دراسة المجتمعات غير المسلمة لفهم ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقيمية والعقـائـدية سواء الحـالية أو التـاريخية من أجـل رسم خطط الدعوه الإسلامية داخلها على اساس من الفهم العلمي الصحيح لتلك الدول .

٨ ـ دراسة مقارنة بين الظروف الاجتماعية التاريخية والمعاصرة للمجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية بهدف الوقوف على عوامل التخلف الاجتماعي والحضاري للمجتمعات الإسلامية وعوامل التقدم العلمي والتكنولوجي والاقتصادي لبعض الدول غير المسلمة مثل غرب أوربا والولايات المتحدة الأمريكية بل بعض البلاد النامية مثل تجارب تايوان وكوريا الجنوبية وهونج كونج . . . الخ .
ومن ضمن أهداف هذه الدراسة الكشف عن العوامل التى أدت بعض الدول الإسلامية إلى الابتعاد عن التطبيقات الإسلامية وإتجاه دول غير إسلامية إلى الأخذ ببعض الأسس الإسلامية (مثل قيمة العلم وقيمة العمل وروح الجدية والاخص والامانة في العلم . . .) على الرغم من عدم انطلاقها من الايمان بالإسلام .

٩ ـ إجراء مقارنة بين الواقع الاجتماعي للمجتمعات الإسلامية أو الاقليات المسلمة في الدول غير المسلمة وبين المجتمعات غير المسلمة للكشف عن أثر الإسلام من حماية معتنقية من العديد من المشكلات التى غرقت فيها الدول الغربية والشرقية على الرغم من تقدمها المادي ـ العلمي والتكنولوجي والاقتصادي مثل مشكلات الادمان والشرب والبغاء والأمراض النفسية والانتحار والجرائم المنظمة وإنعدام الامن . . . . الخ .

١٠ ـ دراسة الحركات والجماعات الإسلامية في مختلف دول العالم من حيث بناءها ونموها وأهدافها. كل هذا يعني أن علم الاجتماع الإسلامي له موضوعاته وله أساليبه المنهجية التى يدرسها وله بناؤه التراكمي وهذا البناء يستقى من مصدرين اساسيين مصدر يقيني وهو الآدلة الشرعية وفي مقدمتها الكتاب والسنة والاجماع والقياس ومصدر ظني وهو الواقع الاجتماعي الذى يخضع للدراسة والنظريات المطروحة في التراث والمحايدة عقائديا والتي ترتبط بعلاقات حوارية مع الواقع من حيث إنها مستمدة أصلاً من دراسات واقعية حققت قضاياها، ومن حيث إنها تخضع لاعادة الاختبار مرات أخرى في الواقع للكشف عن صدق تعبيرها عنه . وعلم الاجتماع الإسلامي بهذا الشكل ينقسم إلى قسمين :

(أ) علم اجتماع إسلامي بحت أو نظري يتعلق بإبراز الحقائق الإسلامية فيما يتعلق بالإنسـان والجماعة والنظم والتنظيم والعلاقات والمعاملات والتغير في التاريخ ويتعلق بما تسفر عنه الدراسات الواقعية من نظريات تتصل بالمصالح المرسلة أو بالمشكلات الاجتماعية وأساليب مواجهتها .

(ب) علم الاجتماع الإسلامي التطبيقي الذى يستفيد من إنجازات علم الاجتماع البحت في المجالات التطبيقية المختلفة مثل الدعوة الإسلامية وتوجيه الشباب والنشيء وتغيير السلوك والقيم المنحـرفـة ورسم السياسيات التنمـوية ورسم السياسات الجنائية ومكافحة الجرائم ومواجهة المشكلات الاجتماعية وتطوير التنـظيمات التربوية من أجل تحسين كفائتها في مجال تشكيل السلوك وغرس القيم ودعم العقيدة الصحيحة . . . الخ .

